المكتبة الثقافية

٤٩

الأزياء الشعبية

سعد الخادم

١٠ نوفمبر ١٩٦١

المكتبة الثقافية

٤٩

الأزياء الشعبية

سعد الخادم

وزارة
الثقافة والإرشاد القومي

الإدارة العامة للثقافة

١٥ نوفمبر ١٩٦١

الناشر



١٨ شارع سوق التوفيقية بالقاهرة

ت ٥٥٠٣٢ — ٧٧٧٤١

تقديم

يبحث هذا الكتاب فى الأزياء الشعبية وتقاليدها فى الجمهورية العربية المتحدة . وتقوم الفكرة على دراسة تقاليد الأزياء ، فإن الأزياء الشعبية بنوع خاص نراها في كثير من الأحيان ترتبط أشكالها وطرق تفصيلها بعقائد شعبية وطقوس معينة ، وكذلك الحال بالنسبة إلى الزخارف التى تطرز عليها إذ يغلب أن تكون لغرض معين أيضاً لمنع الحسد ، أو الرغبة فى جلب الخير ، أو ضمان الإكثار. وأحيانا ترث الأزياء الشعبية أزياء عصور سبقتها ، وهى وإن احتفظت بمظهرها العام — تكيفها حسب حاجيات الذوق الشعبي ولذلك وجب الرجوع بالأزياء الشعبية إلى عصر المماليك، وعرض نبذة عن أنواع الأزياء التى كانت منتشرة حينذاك بما تضمه من أزياء شعبية وغير شعبية ثم نتتبع قصة الأزياء وما حل بها فى القرن التاسع عشر حتى منتصفه فى تقويم كتبه

كلوت سنة ١٨٤٠ ، وخص الأزياء ببعض فقرات من بحثه نعرضها في هذا الكتاب .

ولكي نقف على حال الأزياء في النصف الأخير من القرن الماضي رجعنا إلى بعض ما كتب عرضا في هذا الشان حوالي سنة ١٨٩٠ وسبب الاعتماد على مثل هذه المراجع القديمة والكتابات التي تناولت الثياب والأزياء ، هو أن ما تبقى من ثياب المماليك ، وحتى ثياب القرن الماضي بما فيها من أنواع شعبية وغير شعبية ، نادر للغاية ، فعلى الرغم من وجود بعض الثياب الحربية للمماليك بالمتحف الحربي وقصر المنيل ، وثوب واحد بدار المخطوطات فإن بأوربا مجموعة كبيرة منها ، ففي فلورنسا مثلا صدرة مطرزة يرجع تاريخها إلى القرن الخامس عشر ، وهي من النوع الحربي أيضا ولتعذر الحصول على نماذج لأزياء الحريم مثلا ، وأزياء رجال الدين وسائر الأزياء غير العسكرية في الأزمنة القديمة ، لا نجد أمامنا إلا المراجع التي تصف الأزياء وأنواعها وأشكالها (وعدا أثواب قليلة ببعض المجموعات الخاصة) وسنحاول على قدر المستطاع جمعها في هذا البحث وعرضها بصورة مسلسلة ، لندرك مدى التطور والاختلاف اللذين حدثا في كافة الأزياء المصرية .

ويتضح لنا فى نهاية الأمر أن بعض الأسماء تتغير ، وأن أنوعاً من الثياب يبطل لبسها عند أهل الحضر ، ولكن يشيع لبسها فى الزى الشعبي تحت اسم جديد ، فندرك بهذه الكيفية مصادر بعض الأزياء الشعبية الراهنة .

ويتناول الجزء الآخر من البحث سرد بعض العادات والتقاليد الشعبية التي كانت شائعة فى القرون الماضية ، وبعضها أنواع خاصة متناهية فى الغرابة وتتخذ وسيلة علاجية لبعض الأمراض ، كما يتخذ من الحلى والمصاغ أيضاً وسيلة للغرض نفسه . ونحن إذ نقرأ عن هذه الأشياء العجيبة فكأننا نقرأ فى كتب ألف ليلة وليلة وقصص السندباد وما يناظرها من أساطير أوربية يتخللها السحرة والأرواح ، ولا تكاد تخلو من ذكرها قصص الأطفال في الخارج ، كقصص أندرسن وقصص كاليفالا في فنلدا وسيجفريد في ألمانيا ، التى أصبحت فى خرافاتها وأوهامها ذات طابع وطنى كقصة الإلياذة لهوميروس فى اليونان . أما أساطيرنا الخرافية فعلي الرغم من خجل الكثيرين منا عند التحدث عنها وكأنها شىء مبتذل لايخص إلا الجهلة من الناس ، فإننا لانتردد فى ربطها وإظهار صلتها الوثيقة بالثياب . لأنها جزء من تراثنا القومى ، فكثيرون منا سمعوا وهم صغار

عن طاقية الإخفاء ، وقصة خشبان ولم يدركوا فيما بعد أن تلك القصص كانت تتناول الحديث عن أنواع من الثياب المسحورة وكثيرون منا سمعوا فى صغرهم وكبرهم عن النذور ولم يتنبهوا إلى أن الأصل فى تقاليدها قائم على نوع مبادلة الثياب أو رهنها ، أى استبدال الصحة والسعادة بالثياب أو باجزاء منها . وكان الرهن يتطلب أحيانا المساومة على خصل من الشعر وبعض المصاغ . ونحن إذ نخوض في هذا المجال نجد مع البحث والمقارنة أن ظاهرة الخداع الذى يقرب أحيانا من الشعوذة البعيدة عن الجدية ، كانت أساس هذه التقاليد والمظاهر التي تنقلنا إلي صميم تراثنا القديم بما فيه من أساطير وأزياء تتسم بالطابع القومى .

وبينما تظهر هــذه الأساطير فى أوربا سنويا فى صورة مهرجانات شعبية تعرض فيها أزياء السحرة والجان والمنجمين والغجر والمشعوذين والمجذوبين ، كل ينخرط فى ثيابه التقليدية فى مواكب الورد والأعلام دون أن يشعر أحد بشذوذهم ، نرانا نشعر بالخجل والحطة عند النظر إلى بعض عاداتنا وتقاليدنا القديمة التي تتميز هى الأخرى بأنواع عجيبة من الثياب ، ولا نكترث بدراستها أو الوقوف على مصادرها وصلتها بتاريخنا ،

بل نتركهـا تبلى وتتلاشى خشية أن يوصم بالجهل والتاخر من يتناولها بالدرس والبحث .

إن جزءا هاما من أزيائنا القديمة والتاريخية مازال مسجلا فى فنوننا الشعبية على اختلاف أنواعها ، ولا تنتظر إلا الباحث للكشف عن حقيقتها ، فهذه أزياء حلوى المولد مثلا نشاهدها فى كل موسم كما شهدتها الأجيال قبلنا ، ولم يتنبه أحد إلى أنها « اليلك » وهو ثوب انتشر فى العصر المملوكى واستمر حتى أواخر القرن الماضى ، وهو إذ يضيق عند الخصر يتسع في أسفله ويزر على طوله من الأمام بأزرار كثيرة ، ومما يميزه أن كميه مشقوقان ومتناهيان فى الطول . ويبدأ الكم ضيقاً ثم يتسع عند المعصم بحيث يتدلى عند رفع الأيدى إلى أعلى . وعروس المولد ترفع يديها إلى أعلى ، وما يبدوا كأنه زوج من الأذرع ممسكة بالخصر إنما هو كم اليلك المتدلى إلى الأسفل . وهناك صور كثيرة فى بعض الكتب الأجنبية « لليلك » فى القرن الماضى لا تختلف كثيراً عما تشاهده فى عروس الحلوى اليوم .

ومن الأمثلة التى تربط بين ثياب المشعوذين والمجذوبين والأزياء القديمة ثوب كهنوتى عثر عليه المؤلف ويرجع تاريخه إلى القرن الثامن عشر ، ويتكون من مجموعة خرق مربعة

الشكل مخيطة أطرافها بحيث تترك ثغرات خالية مربعة الشكل كأنها ثقوب فى ثوب مصنوع من أقمشة ذات ألوان متعددة ، وقد طرز شكل الصليب على بعض المربعات الأمامية وعلى حزام الثوب نفسه .

ويتضح صلة هذا الثوب الكهنوتى بثياب المجاذيب فى أنها من خرق بعضها مربع الشكل أو ذات أشكال أخرى تتخللها أحيانا ثقوب وقد تصبح مثل هذه الثياب موضع دراسة جدية ، لأن فى أساسها تقاليد على جانب كبير من الأهمية .

ومن الثياب الشعبية التى نراها ولا نظن أن لها أى تاريخ ثياب المذنبين من نزلاء الليمان ، فهم يرتدون فى الشتاء قميصاً من صوف خشن له فتحة مستديرة للعنق وفتحتان جانبيتان ، وشكله مستطيل مبسط ، وهذا النوع من القمص كان منتشراً طوال العصر القبطى ، حيث كان يفصل بالكيفية نفسها ، وكان يضاف إليه أحيانا حليات مطرزة على الصدر أو الأكتاف ، ويقرب هذه القمص القديمة إلى قمص المسجونين أنها كانت تدعى ثياب المذنبين ، وكان الرهبان أو المتدينون يعمدون إلى ارتدائها للتكفير عن ذنوبهم ، وظلت شائعة إلى القرن الماضى كما كانت شائعة فى أوربا منذ القرون الوسطى . ولفظ ثوب المذنب تعبير

شائع ومعروف عند رجال الدين من المسيحيين والمتصوفين من المسلمين ، وهو ثوب يغلب أن يكون من صوف خشن غليظ حتى تكاد تنطبق أوصافه على قمص المذنبين من نزلاء السجون .

ولعل هذه الأمثلة التى نمهد بها لهذا البحث تصور للقارئ أهمية هذا الجانب من تراثنا الذى يحتاج إلى أن نقومه من جديد ، ولذلك نستهل بحثنا بدراسة لمحة عما كانت عليه الأزياء فى عصر المماليك .



ملابس الرجال والنساء فى عصر المماليك

يقول أحد المؤلفين إنه كان من أهم ما يسترعى النظر فى عصر المماليك[1]، تلك العناية الفائقة بالملابس التى كانت تخاط وتزين بحوانيت الخياطين والرسميين والخلعيين الذين يصنعون الخلع الملوكية. وقد نهض المماليك بصناعة المنسوجات التى كانوا يصنعون منها ملابسهم، حتى كان للمصريين شهرة عالمية فى ذلك المضمار، وكان المماليك يستعملون الفراء، ولهم سوق عرفت بسوق الفرائيين يسكن فيها صناع الفراء وتجاره، فعرفت بهم. وكان فى سوق الجمالون الصغير بالقاهرة كثير من البزازين الذين يبيعون ثياب الكتان وأصناف ثياب القطن، وبه عدد من الخياطين والغزالين. وكانت سوقية أمير الجيوش فى عصر المماليك أكبر أسواق القاهرة بها عدة حوانيت فيها الرفاؤون والرسامون (أى حوانيت التطريز) والفراؤون والخياطون، ومعظمها لسكنى البزازين والخلعيين الذين يصنعون الخلع، ويباع فى هذه السوق سائر الثياب المخيطة (وهى أشبه بشركات الملابس) (المقريزى).

---

(١) حسن «على إبراهيم» : «تاريخ المماليك البحرية» سنة ١٩٤٨م.

ومن ذلك نرى مبلغ اهتمام المماليك بالملابس الثمينة ، وكان الجند فى ذلك العصر يلبسون على رؤوسهم الكلوتات[1] التى استحدثت فى مصر فى عصر الأيوبيين التى اتخذوها من الجوخ الأصفر بغير عمائم ، وذوائب شعورهم مرخاة من تحتها . ولما انتقل الحكم إلى المماليك لبس جندهم الكلوتات الصفر بغير

(١) جاء فى الخطط التوفيقية لعلى مبارك وصف للملابس فى هذا العصر وورد فيه أنه كان السلطان والعسكر يلبسون على رءوسهم الكلوتة بدل العمامة — وكانت العادة أن تكون صفراء مضربة تضريبا عريضا ولها كلاليب ، ويضفرون شعورهم ويرسلونها بين أكتافهم موضوعة فى كيس من الحرير أحمر أو أصفر ، ويشدون أوساطهم ببنود من قطن بعلبكى مصبوغ ، والأقبية البيض أو المشجرة بالأحمر والأزرق الضيقة الأكمام أشبه بملابس الإفرنج ، ومن فوق القباء كمران بحلق وأبزيم ، وصالق بلغارى يسع أكثر من نصف ويبة من الغلة مفروش به منديل طوله ثلاثة أذرع ، وله أخفاف من الجلد الأسود البلغارى ومن فوق الخف خف آخر ولم يزل هذا زيهم إلى سنة ٦٤٨ .
فأدخل المنصور قلاوون فيه بعض تحسين ، ولما كان زمن الأشرف خليل صارت الكلوتة من الزركش والقباء من الأطلس . واتخذت السروج والأكوار المرصعة وعرفت بالأشرفية ، ولما ملك الناصر محمد ابن قلاوون أحدث العمائم الناصرية وكانت صغيرة ، وأحدث الأمير يلبغا العمرى الكلوتات الكبيرة وعرفت اليلبغية وأحدث الأمير سلار القباء الذى عرف بالسلارى ، وهو شبه المضربية .

عمامة وظل ذلك متبعاً فى عهد السلطان الناصر ، وقد اخذت طريقة لبس الكلوت أشكالا مختلفة كما كان لونها يتغير حسبما يراه كل سلطان .

في عهد السلطان قلاوون أضيف لبس الشاش على الكلوته ، ثم فى عهد ابنه السلطان خليل تغير لون الكلوتات من الصفرة إلى الحمرة ، ويطلق على كل منهـا اسم الدبوقة وتعلق فى الرأس إلى الخلف وتوضع فيها جدائل الشعر بعد تصفيفها وضبطها على نحو ما كان سائداً فى عهد الأيوبيين .

وفى عهد [1] السلطان الناصر محمد استحدثت العمائم

---

(١) وورد فى كتاب الخطط التوفيقية لعلى مبارك أنه وصلت في زمن الناصر محمد قيمة الحياصة إلى ثلثمائه دينار عبارة عن مائة وخمسين جنيهاً فى زماننا وعملت من خالص الذهب وكثيراً ما كانت ترصع بالجواهر وكان السلطان يفرق منها كل سنة عدداً وافراً ومما كثر استعماله في زمانهم العنبر حتى جعله النساء قلائد فلا توجد امرأة إلا ولها منه قلادة وعمل منه أهل الثروة الستور والمساند وكثر أيضاً استعمال الفراء وكانت من أعز الأشياء مدة الترك وفى دولة الجركس جعل لها سوق محل التبليطة من الغورية الآن وكان يباع فيه السمور والوشق والقاقم والسنجات ـ وكذا أكثر لبس الطوق للصبيان والأحبار والنساء والجوارى ـ وكانت تصنع خضرا أوحمرا أو زرقا وكانت تزيد عن =

الناصرية ، وكانت عمائم صغيرة حتى لا تعوق الجندى أثناء القتال ، وأصبح لبس العمامة أمراً قومياً حتى صار نزعها أو تغييرها من العار ، ولكن بطل إرخاء ذوائب الشعراء حين حلق الناصر رأسه بمناسبة رحيله إلى الحج ، فبادر الأمراء والجند إلى تقليده وحلقوا رؤوسهم . وكان الجند يلبسون أقبية الأكمام مصنوعة من القطن البعلبكى وهى زرق أو حمر ، ومن فوق هذا القباء كمران بحلق وأبزيم ، وهى حديده تكون فى طرف الحزام يدخل فيها الطرف الآخر .

كما كانوا يشدون على أوساطهم بنودا من القطن ويلبسون فى أرجلهم خفا فوقه خف آخر يقال له السقمان — ويتخذ من الجلد البلغارى الأسود — ويثبت فى هذه الأخفاف المهاميز التي كانت تصنع من الحديد أولا ، ولما زادت ثروة الجند عن طريق الإقطاعات اتخذوها من الفضة ثم من الفضة المكفتة بالذهب، ثم اتخذت المهاميز من الذهب الخالص . ومما كان يستعمل فى عصر المماليك حقائب كبيرة من الجلد البلغارى تسمى الصوالق

= الرأس أولا سدس ذراع ثم ارتفعت نحوا من ثلاثة أرباع ذراع فى زمن الناصر فرج وكانت مدورة من أعلاها وأسفلها بفرو من السمور — وكانت من أشنع ما يرى .

تعلق بالمنطقة إلى الجانب الأيمن من الحزام ، وكانت الواحدة منها تسع نحو نصف ويبة ، ويعلق فيها منديل طوله نحو ثلاثة أذرع ، وهي تشبه ما يستعمله الجندى الآن فى رحلاته من حمل حقيبة وراء ظهره يضع فيها زاده وذخيرته .

ويظهر أن الدافع لهم على تكبير حجم هذه الصوالق إنما يرجع إلى احتياجهم لها وقت جمع الأسلاب والغنائم ، ويمكن القول إن زى الجندى فى العصر المملوكى قد بلغ درجة كبيرة من حسن الرونق وبديع التنسيق حتى أصبح جمال هندامهم مضرب الأمثال فى غير مصر من الأقطار .

وكانت الطرحات من مميزات لباس القضاء فى عصر المماليك بمصر ، وكانت الطرحة والعمامة والشاشة تصنع كلها من قماش أسود . وفى القلقشندى وصف دقيق لأزياء أرباب الوظائف الدينية والقضاة وسائر العلماء فى ذلك العصر ، وهاك نصه :

« ويختلف ذلك (أى لباس رجال الدين) باختلاف مراتبهم .

فالقضاة والعلماء منهم يلبسون ، العمائم من الشاشات الكبار الغاية [1] ، ثم منهم من يرسل بين كتفيه ذؤابة تلحق قربوس

(١) أنظر شكل ١٠١

سرجه إذا ركل ، ومنهم من يجعل عوض الذؤابة الطيلسان الفاتق ، ويلبس فوقه دلقا متسع الأكمام طويلها مفتوحا فوق كتفيه بغير تفريج سابلا على قدميه ، ويتميز قضاة القضاء الشافعى والحنفي بلبس طرحة تستر عمامته وتنسدل على ظهره ، وكان قبل ذلك مختصا بالشافعى ، ومن دون هذه منهم تكون عمامته ألطف . ويلبس بدل الدلق فرجية مفرجة من قدامه من أعلاها إلى أسفلها مزررة بالأزرار ، وليس فيهم من يلبس الحرير ولاما غلب فيه الحرير . وإن كان شتاء كان الفوقانى من ملبوسهم من الصوف الأبيض المطلى . ولا يلبسون الملون إلا فى بيوتهم ، وربما لبسه بعضهم من الصوف فى الطرقات ، ويلبسون الخفاف الأديم الطائفي بغير مهاميز . »

وذكر بن بطوطة فيما شاهده من أزياء القضاء فى مصر أن قاضى الأسكندرية عماد الدين السكندرى كان يلبس عمامة تخالف غيرها من العمائم المعتاد لبسها إذ ذاك وقال : لم أر فى مشارق الأرض ومغاربها عمامة أعظم منها ، رأيته يوماً قاعداً فى صدر محراب ، وقد كادت عمامته أن تملأ المحراب .

وفى سنة ٧٧٣ أمر السلطان الأشرف شعبان بن حسن حفيد الناصر محمد أن يلبس أشراف مصر والشام عمائم على كل

منها علامة خضراء تميزها إجلالا لمقامهم وتعظيما لقدرهم ، كى يحسن استقبالهم ويمتازوا عن غيرهم من المسلمين ومنذ ذلك التاريخ وضع كل شريف تلك العلامة الخضراء على عمامته ، وظل الحال على ذلك طوال عصر دولة المماليك فى مصر .

وشاع بين رجال دولة المماليك من الأمراء والأجناد ومن يتشبه بهم لبس الطواقى على رؤوسهم بغير عمامة فى أيام دولة المماليك البرجية ، وصاروا لا يرون فى ذلك بأساً بعد أن كان نزع العمامة عن الرأس عاراً وفضيحة وتنوعت هـذه الطواقى ما بين خضر وحمر وزرق وغير ذلك من الألوان ، وبلغ ارتفاعها ثلثى ذراع ، وكان أعلاها مدوراً ، وذاع كذلك استعمال الفراء فى أيام السلطان الظاهر برقوق [1] ، ولبس فرو السمور بعد [2] أن كان من أعز الأشياء التى لا يستطيع كل فرد اقتناءها .

وكان السلطان المملوكى يظهر فى المواكب التى يخرج

---

(١) يقول على مبارك فى كتاب « الخطط التوفيقية » إنه فى زمن السلطان برقوق عملت السكلوتات الجركسية وهى كبيرة وفيها عوج ، وكثر لبس الحياصة وتأنق فيها الأمراء والعسكر ، وكان لها سوق مخصوص من أعظم أسواق القاهرة .

(٢) أنظر شكل ١١ .

فيها بأنواع مختلفة من الملابس السلطانية موظفون يختارون للسلطان الملابس المناسبة له فى المواكب والحفلات ، ومنهم الجدار ووظيفته مباشرة أمر الملابس والبشمقدار ويحمل نعل السلطان[1].

وكانت السيدات فى عصر المماليك يلبسن الطواقى ، كما يلبسنها اليوم ولما اتسعت ملابس السيدات فى عهد السلطان برقوق — بعد أن بطلت بأمر السلطان الناصر حسن سنة ٧٥١هـ، حتى كانت أكمام القميص وبدنه اثنتين وسبعين ذراعا من القماش أى ما يقرب من ثلاثة وأربعين متراً — قرر والى القاهرة فى عهد برقوق إنقاص هذا المقدار إلى أربع وعشرين ذراعا[2] ، كما أمر يشبك الجمالي محتسب القاهرة فى عهد السلطان قايتباى بأن ينادى بألا تلبس النساء العصابة والمقترعة (أى القصيرة) من الحرير وألا يقل طول العصابة عن ثلاثة أذرع ، وأن تكون مختومة من الجانبين بخاتم السلطان . وأرسل المحتسب نوابه

(١) حسن (على إبراهيم) « تاريخ المماليك البحرية » ١٩٤٨ .

(٢) قد تذكرنا السعة المتناهية لملابس السيدات بالملس الشعبي الذى يشيع لبسه حاليا ، فعلى الرغم من سعته لا يقارن بنظائره فى عصر المماليك ، ولكننا نلمس فى مظهره العام استمرارا للطرز القديمة فى الثياب المتناهية فى السعة .

إلى الأسواق ، وبث عيونه فى المجتمعات العامة ، فإذا عثر أحدهم على امرأة تلبس هذا النوع الذى حرمته الحكومة أهينت وعلقت العصابة في عنقها على مرأى من الناس ، وكان من أثر ذلك أن نزل النساء على أمر المحتسب ولبسن العصائب الطوال إذا ما خرجن من بيوتهن » .

نتبين بعد هذا العرض أن الطراز المملوكى فى الثياب كان له أصوله وتقاليده التى استمرت حتى النصف الأول من القرن التاسع عشر .

وعلى حد قول بعض الكتاب فقد كان المجتمع المصرى حتى منتصف القرن التاسع عشر محافظا علي تقاليده وعاداته ، وهو إذ ينظر إلى تراث أجداده إنما ينظر إليها نظرة الاحترام والتقديس فلا يسمح بمساسه ، وربما ساعدنا هذا على فهم أسباب تمسك الأهالى بتقاليدهم حتى لتصبح مشكلة يسيرة مثل تغيير شكل القفطان مثلا أو ارتداء لباس ضيق من المشكلات العويصة .

ولقد أوشكت أن تنفجر ثورة اجتماعية لمجرد تحريم لبس الجلباب والعمامة ، فليس من الغريب إذاً أن نجد المجتمع المصرى فى أواخر القرن الثامن عشر سائراً على نفس التقاليد والذوق والملبس الذى كان معاصرا لشجرة الدر ، أى منتصف القرن الثالث عشر .

الملابس المصرية

فى القرن التاسع عشر

ننتقل بعد هذا إلي عرض الأطوار التى مرت بها الأزياء المصرية من أواخر القرن الثامن عشر إلى أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، ونستعين فى ذلك على ما كتب فى هذا الشأن من دراسات وأبحاث نعرضها فى الجزء الآتى :

« كانت الملابس[1] التى يكتسى بها المصريون قبل سنة ١٨٤٠ بسنوات قليلة تتألف من :

أولا : القميص — ثانياً : اللباس أى السروال — وثالثا : الصدرية — ورابعاً : القفطان — خامسا : الحزام ، وسادسا : الجبة ، وسابعا : البنش ، ولم يكن للزى الحديث (المودة) تأثيرما على طريقة الاكتساء عند المصريين الذين لم يطرأ تغيير ما عل نظام ملابسهم كلها أو بعضها .

وتختلف الأقمصة الشرقية اختلافا بينا عن القمصان فى أوربا — فهي فى الشرق تمتاز بفرط الطول والعرض واتساع الفن

(١) كلوت — (ا — ب) : لمحة عامة إلى مصر ،سنة ١٨٤٠ م.

(الكم) واسترساله إلى كامل القدم ، اما قمصان افراد العامة فهي إما من الكتان أو التيل بخلاف اقمصة أصحاب اليسار فإنهم يلبسونها من قماش دقيق النسج يسمونه المغربى ، أو قماش الحرير — والقميص لا نمشى به داخل السروال كما هو الحال فى أوربا بل كان يسبل فوقه . ويمتاز السروال المصرى بالسعة حتى يخيل لرائيه ، أنه جبة خيط الجزء الأسفل منها بحيث تترك فتحتاه لخروج القدمين ، وهو سابل إلى الركبتين ، ويثبت حول الجسم بتكة تجرى فى باكية ، وغالبا ما تحلي التكة بالزركشة التى تتفاوت بتفاوت أصحابها فى اليسار . أما الصديرى فيتخذ عادة من الجوخ أو القماش الحريرى أو القطنى ، وفوق هذه الثياب كلها يفرغ القفطان ، وهو لباس سابل إلى القدمين عريض الكمين ، وأما الحزام فقطعة من قماش الحرير يبلغ عرضها مترا واحداً فى ثمانية أمتار إلى عشرة طولا يلف حول الجسم عند الحرقفتين، وأصحاب اليسار يتخذونه من الكشمير الثمين .

أما الجبة وتوضع فوق الأجساد السابقة كلها — فتبطن بالفرو ، وإذا كانت للبس الشتاء يكون كماها أقصر من كمى القفطان ، وتلبس فوقه مشقوقة من الأمام .

ويحمل بعض الناس فيما عدا الجبة ثوبا أعرض منها يسمونه

«البنش»، وكماه واسعان جدا وطويلان ومشقوقان فى نهايتهما، ولا يلبس عادة إلا فى الحفلات ، ويختص رجال الشرع والعلماء بلبسه دون غيرهم من الناس .

«وكرك السمور» التركى عبارة عن معطف من الحرير أو الجوخ[1] لا يلبسه إلا ذوو الحيثيات وأصحاب المقامات العالية ويكون محشوا بالسمور — وهو معدود من شارات الشرف ورفعة القدر ، والعلماء لا يكتسون إلا به ، وإذا عين أحد في منصب خطير فإن علامة التقليد له فى هذا المنصب إلباسه كركا من السمور .

أما القلانس ، أى مايلبس على الرأس ، فعبارة عن طربوش من الصوف المصبوغ بلون أحمر تلف حوله العمامة ، وتحت الطربوش يضع المصريون قلنسوة رفيعة يسمونها الطاقية ، الغرض منها وقاية الطربوش من تأثير العرق والعمامة شال من القماش الموصلى صوفاً أو حريرا ساذجا أو مشغولا ، ولا يزال يوجد حتى الآن أناس يحافظون على الزى القديم ، ولهم طرائق عديدة فى حمل القلنسوة وتنسيق أوضاعها ، فإنهم يطوون الشال طيا ينطبق على اتجاه أحد قطريه ، ثم يلفونه بأسلوب معلوم حول

---

(١) انظر شكل ١١

الرأس ، مع جعل اللفات متشابكة ، بحيث يتكون منها فوق الجبهة مايشبه خطين متقاطعين ، وأحيانا يجعلون اللفات متراكبة بعضها فوق بعض بحيث يتألف منها مايشبه الشكل الحلزونى ، وقد يكتفون بجعل الشال إلى أحد جانبي الرأس دون الجانب الآخر . واختلاف هذه الأزياء والأنماط يدل على حالة صاحب القلنسوة ويشير إلى مرتبته فى الهيئة الاجتماعية ، فإما أن يكون موظفا دينيا أوعسكريا أو ملكيا،وهناك وسائل أخرى لتسوية العمامة وتدل على حال لابسها ، فهناك العمامة الخاصة بالعساكر والعمامة الخاصة بالتجار ، والعمامة الخاصة بالبحريين ، وغيرها كالتىعلى الطراز التركى أو الألبانى أو الأرنؤوطي ، أوالتى يلبسها القاضى وأختها التى يحملها المفتى .

وكانت عمامات العلماء تمتاز بضخامة الحجم ، ويتكون منها حول رؤوسهم مايشبه الكرة العظيمة — وكان بعضهم يحليها بوشاح من الكشمير أو الحرير الموصلى تهبط منه عذبتان إحداها تمس الصدر وتبقى معلقة أمامه من ناحية إحدى الكتفين وتمس الثانية الكتف الأخرى ،والاثنتان تعطيان العالم أو الشيخ هيئة الجلال والوقار التى عرفت عن رجال الدين منذ قديم الزمان .

وكانت ألوان العمائم فى الزمن الغابر تفيد فى التمييز بين طبقات الشعب فكان المسلمون يتخذون العمائم البيضاء أو الحمراء ، والأشراف من آل البيت النبوى العمائم الخضراء .

أما اليهود والمسيحيون فكانوا يلبسون العمائم السود أو السمر أو البنفسجية أو ما كان لونه أحمر غامقا .

ذاك كان نظام اللباس القديم ، وهو المسمى باللباس الطويل ، وقد اندثر هذا الزى ولم يعد يحمله من طبقات الناس إلى سنة ١٨٤٠ سوى العلماء والتجار وكتبة المصالح .

لباس المماليك فى بداية القرن التاسع عشر :

لقد ظل بعض الذين بقوا على قيد الحياة من طائفة المماليك ، يلبسون هذا اللباس وهو يختلف اختلافاً يسيرا عن اللباس الذى وصفته ، فإن قفطان المماليك بدلا من أن يكون مفرط الطول ينتهي عند الحزام فكأنه صدرية لاقفطان . وكان الواحد منهم يلبس قفطانين أحدهما ضيق والآخر واسع ، ويضع فوقهما السلطة وهو ثوب عريض الأكمام جدا ينتهي عند الكوع ، وكانوا يلبسون فيما عدا هذا سروالا من الجوخ البندقية يحملونه فوق السروال الداخلى ويثبتونه عند الحزام بتكة ــ وكان عظيم

العرض سابلا إلى سمانة الساق ويشبه غرارة كبيرة ذات شقين في أسفلها ، وكانوا يشدون بعد ذلك حزاما على أوساطهم من الكشمير .

اللباس المصرى بعد سنة ١٨٢٦ :

إن الانقلاب الذى طرأ على لباس المصريين يرجع تاريخه إلى عهد تنظيم الجيوش النظامية فى سنة ١٨٢٣[1] ، وكان نتيجة

---

(١) يؤكد هذا الرأى مؤلف آخر يضيف إلى ما ورد في وصف كلوت أن أول ما ألغته تنظيمات الجيش سنة ١٨٢٣ هو لبس العمامة ، ثم أعقب ذلك بثلاث سنوات أوامر أخرى بإدخال تعديلات أخرى فى الثياب الحربية ، وكان من بين ما تبقى من الثياب التقليدية القديمة وقتئذ السروال الذى كان يلبسه الجند ، وكانت السيقان تلف وقت ذاك عند نهاية أرجل السروال بما يشبه الألشين . ومن الثياب التى استحدثت في الزى الحربى قميص قصير له أكمام يلبس فوقه صدار من النوع الشائع عند عامة الطبقة الشعبية فى أوروبا في القرن التاسع عشر ، ثم تبين للمسئولين فى مصر أن زيادة اتساع أكمام الثياب الحربية من شأنه إعاقة حركة الجند فصدرت مرة أخرى أوامر بضيق الأكمام :

Moeurs usages et costume de tous les pays peuples du monde - Paris - Pesron 1848.

لهذا التنظيم ، فكانت العمامة أول ما حذف فى الجيش من ملابس الجنود . وفى سنة ١٨٢٦ أدخلت تعديلات أخرى إذ تركوا اللباس العريض الهابط إلى الركبتين كما هو ، وأدخلوا صدرية ذات كمين توضع فوقها سلطة من نوع ما يلبسه عامة الشعب فى فرنسا . وإنما تختلف عنها بالسعة وانفتاح الكمين وهبوطهما خلف الجسم . ولم يلبث المصلحون أن أدركوا مقدار ما تحدث هذه الأكمام من الارتباك فى أثناء القيام بالحركات العسكرية ، فقضوا بحذفها وحذفت فعلا ، ولما كان الجيش المصرى فى ذلك الوقت هو الكل فى الكل فقد كان من المنتظر أن يسرى تأثير التعديلات التي تطرأ عليه ، ولقد سرى هذا التأثير فعلا ، فتناول اللباس القديم الشائع الاستعمال ، إذ أخذ ذوو الحيثيات يجعلون ثيابهم على طراز الثياب العسكرية ، سواء أكانت لهم مناصب فى قيادة الجيش أم لم تكن ، فاستبدل الطربوش بالعمامة فلم يلبث الناس جميعا أن اقتدوا بهذا التقليد ، ولبس الوالى نفسه عين اللباس الذى اتخذه لجيوشه .

أما عن تفاصيل الملابس العسكرية التى استحدثت بعد سنة ١٨٢٦ ، وتأثر بها الذوق العام بمصر وقتئذ . فهناك وصف مفصل لها ورد ذكره لأحد الكتاب يقول فيه :

« اما لون الملابس [1] العسكرية فتضاربت فيها أقوال المعاصرين ، فقد ذكر الجنرال بومبيه رئيس البعثة العسكرية أن لون اللباس كان يختلف باختلاف الكتائب بين أسود وأحمر وأسمر ، ويقول الكابتن جول بلانا إن السترة (الصدرية) والبنطلون كانا يصنعان من الجوخ الأحمر ومن نوع (السرج) . أما الدكتور كلوت فإنه يحصر اللون الأحمر للصدرية ويسكت عن لون السروال ، وكان نظام هذه الألبسة يتبعه الضباط أيضاً إلا في نوع الجوخ ، وما كان يزينه من ضروب التطريز ، ويزيد عن كسوة الجنود بصدرية ذات أزرار يلبسونها تحت السترة ، وكانت جميلة تكسب الضباط رونقا .

وكانت الملابس تصرف للضباط في مستهل الأمر على نفقة الوالى ، ثم أصبحت فيما بعد على نفقتهم ، مما جعل ألوانها متفاوتة بدرجة واضحة .

وكما رأينا كانت الملابس العسكرية في ذلك العصر تتناسب مع الزى الوطنى للملابس المصرية فى القرن الماضى وقريبة الشبه بالملابس المسماة بالشكشير ، وكان الجنود يرتدون في الصيف الملابس البيضاء من القطن الغليظ ، ويرتدى الفرسان ملابس

(١) عبد الرحمن زكى : التاريخ الحربى لعصر محمد على ، سنة ١٩٥٠

تختلف باختلاف الوحدة مدرعة أو مزردة ، وعلى العموم كان يرتدى الفرسان ورجال المدفعية وجنود الحرس شتاء صدرية زرقاء اللون ، ورجال الأسلحة صدرية حمراء . وكانت حلل ضباط الخيالة ذات جدائل مقصبة ، ويضع الفرسان المدرعون — ومعظمهم من أهالى بعلبك الشام — على رؤوسهم خوذات من الطراز الذى كان معروفا فى أيام الصليبيين .

وكان الفرسان غير المدرعين يضعون على رؤوسهم القالوطة[1] المصنوعة من الحديد لوقاية الأنفس من ضربات السيف أمام واقية العينين . وتكاد تتفق المصادر التاريخية على أن رداء الضباط لم يختلف عن ملابس الجند إلا فى نوع الجوخ ولونه وما كان يزينه من ضروب التطريز وأنواع الشارات ، وأن هذه الشارات تباينت بتباين الرتب ، فالأمباشي كان يحمل على صدره شريطا واحدا والجاويش اثنين والباشجاويش ثلاثة والصول نصف هلال من الفضة ، والملازم الثاني نجما من الفضة والملازم الأول نصف هلال من الذهب ونجما من الذهب مرصعا بالألماس وهكذا .

وكان يرتدى تلامذة مدرسة الفرسان بالجيزة (سنة ١٨٣١)

---

(١) انظر شكل ١٣

ملابس مشابهة لملابس الفرسان الفرنسيين فيما عدا القلنسوة ، وكانت الصدرية خضراء اللون ذات ضفائر موشاة بالصوف الأصفر للجنود ، أما البنطلون فكان قرمزى اللون ، وكان لبدل الضباط جدائل مقصبة .

ولم يكن اختيار زي ضباط وجنود الجيش المصرى وشاراتهم عندما أنشيء الجيش على غرار النظام الأوربى مقيدا إلى أن صدر الفرمان السلطانى فى ٣ فبراير سنة ١٨٤١ والفرمان الذى تلاه فى مايو من السنة نفسها ، وكلاهما كان عقب معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ .

وقد نص فى الفرمانين بعبارة صريحة على أن تكون ملابس وشارات وأعلام الجيش المصرى والبحرية المصرية مماثلة للجيش العثمانى والبحرية العثمانية » .

نعود بعد هذا الوصف مرة أخرى إلى عرض المؤلف كاوت الذى يستعرض بقية أنواع الثياب العصرية قبيل منتصف القرن التاسع عشر تقريباً ، فيبدى رأيه فى الأنواع التى استحدثت واستبدلت فيها ثياب قريبة من الذوق الأوربى بالثياب العربية القديمة فيقول فى هذا الشأن :

« والشرقيون ميالون إلى اتخاذ الثياب ذات الألوان الفاتحة

الساطعة كالأحمر والوردى والأبيض والبنفسجى .

ولكن الأذواق والعادات تغيرت الآن (١٨٤٠) من هذه الجهة تغيرا محسوسا إذ هجر الألوان الساطعة أفراد الطبقات العليا واعتادوا الآن لبس الثياب من الجوخ الأسود والأزرق والكستنى ، وظل عامة الشعب محتفظين بالألوان الأولى » .

الحذاء :

لايلبس المسلمون عامة الجوارب ، ولكن أصحاب اليسار منهم يستعيضون عنها بشىء من الجلد الأصفر يسمونه المزد ، فإذا لبسوا هذا الشيء الذى لاهو بالجورب ولا هو بالحذاء دسوا أقدامهم فى حذاء من الجلد الأحمر أو الأصفر يسمونه بالمركوب[1] واللون الأصفر فى المركوب لايسمح به سابقاً إلا للمسلمين ، أما المسيحيون فكانوا يلبسون الأحذية الحمراء اللون ، وكان السواد اللون الأصلى في أحذيتهم ، وفائدة لبس الحذاء والمزد معا عندالشرقيين انهم إذا غشوا مجلساً أو مسجداً تركوا أحذيتهم عند الباب وساروا بالمزد على الحصر والبسط والسجاجيد

---

(١) انظر شكل ١٥ .

بدون أن يمسها شيء من الأذى وبقيت اقـدامهم مكسوة غير عارية .

ثياب الفلاحين :

ثياب الفلاحين فى الدرجة القصوى من البساطة ، إذ تنحصر في قميص وسروال من الـكتان يعلوهما قميص أزرق سابغ يسمونه (العرى) يضبطونه حول الجسم بنطاق من الجلد أو القماش ، وقلنسوة الفلاح صنف من طربوش أبيض أو رمادى يعرف باللبدة ، وفى الشتاء يلبسون بدلا من العرى عباءة صوف واسعة الأكمام تسمى عندهم بالزعبوط .

وتختلف أشكال اللباس المصرى باختلاف الجهات ، فـكان اهل الوجه البحرى يستوفون فى ثيابهم شروط الصحة المتفقة مع جو البـلاد ، وسكان الاسكندرية يتخذون جميعاً ثياباً من الجوخ شبيهة بثياب المغاربة ، اما القاهرة فالثياب فيها أخف منها فى الوجه البحرى والاسكندرية ، غير أن الذين لايستطيعون من أهلها اقتناء ثياب الجوخ يكتفون بالثياب القطنية . ومن غريب التناقض فى موضوع اللباس في مصر أن سكان الوجه القبلى — وجوه على ما هو معلوم من شدة الحرارة — يرتدون الأقمشة

الصوفية حتى فى اشهر الصيف . ويقتصر الرجال والنساء فى ضواحى أسوان فى لباسهم على حزام من الجلد (الرهط) يضربونه على خصورهم فلا يستر من أجسادهم سوى العورة كالمشهود عند أهالى المناطق الاستوائية .

لباس السيدات الميسورات :

تمتاز نساء العظماء وذوى الحيثيات على سائر النساء بما تجمع ملابسهن على تنوعها من أسباب الزخرف والزينة والتبرج من زركشة بالذهب والحرير والكشمير ذي الألوان الساطعة ، وما يتعلق بكل ذلك من التوشية وغيرها . وفيما يلي بيان الملابس المختلفة الخاصة بالسيدات :

قميص من حرير الموصلين أو القماش الدقيق السلك اوالكريب أو الأنسجة الثمينة ، ويكون إما أبيض وإما على ألوان كالوردى والبنفسجى والأصفر الباهت والأزرق السماوى أو الأسود أحياناً ، ويزركش غالباً بالحرير أو أسلاك ذهب لامعة ويكون فى العادة واسعاً جداً وعريض الأكمام ، وقد لايهبط إلى الركبة فيغطى الجزء الأعلى من اللباس الذى يتخذ من التيل الدقيق السلك أو من حرير الموصلين .

وشنتيان عريض القماش يناط بالخصر بواسطة تكة تمر في باكيه باعلاه ويربط من موضع ربطه سابلا إلى القدمين فيكون اشبه شيء بالجونيلا .

« يلك »[1] (أي ثوب) يلتصق بالقامة عند الحرقفتين فيصفهما ، ثم ينسدل إلى القدمين ، وهذا الرداء مقور بحيث إنه لا يغطي النحر ، ولا يثبته في مكانه إلا القميص ، وهو يحتوي أزرارا من أمامه تتلو بعضها بعضا من فوق إلى تحت الحزام ، ويكون مفتوحا من الجانبين من ابتداء الحرقفين ، والكمان يلاصقان الذراعين ثم يذهبان متسعين شيئاً فشيئاً من الكوع ، ويهبطان حتى يعادلا أسفل الثوب ، وقد ينتهيان عند المعصمين .

حزام يحاط بالوسط ، وهو من الشال الكشمير بحسب تفاوت درجات اللابسات في الثراء ، فإذا كان الحزام عبارة عن مربع من الحرير فإنه يطوى على اتجاه أحد القطرين ثم يوضع على أسفل البطن وتبقى زاوية من زواياه خلف الجسم ، ثم يعاد بطرفيه إلى الأمام حيث يثبتان بعقدة أو مشبك وبهذا يكون الحزام المحيط بالجسم غير ضاغط عليه في اى جزء من الأجزاء التي يلامسها .

(١) انظر شكل ١٣.

وتلبس السيدات فوق «اليلك» جبة من الجوخ فى فصل الشتاء، وينتهى كما هذه الجبهة عند الكوع ، وتقور من أعلى ولا تلتقى حافتاها فوق الصدر ، ولذا تبقى مفتوحة على الدوام ، وتكون إما ساذجة بسيطة ، وإما مشغولة بالتطريز ، وبعض السيدات يستعضن عن الجبة بلباس آخر معروف عندهم باسم «السلطة» .

اما القلنسوة أى لباس الرأس فعبارة عن طاقية حمراء صغيرة يلف حولها على شكل العمة منديل أو أكثر من قماش الكريب أو حرير الموصلين الأبيض او المرسوم أو المزركش بصنوف الزخرف .

وفى مقدمة الطاقية تثبت صفيحة مستديرة مكورة يبلغ طول قطرها ثلاث بوصات تقريبا وتسمى بالكور . ونساء الطبقة الدنيا يتخذن هذه الصفيحة من الذهب فقط أما نساء الأغنياء فيتخذنها كذلك مرصعة بالأحجار الكريمة .

وترسل شعور القسم الأمامى فى الرأس مجعدة بشكل الحلقات إلى الصدغين أو ترفع إلى فوق بالشكل المعروف « بالباندو» والنساء المصريات كنساء اوربا يجمعن شعورهن خلف الراس ، ولكنهن بدلا من رفعهن إياها عليه يرسلنها إلي الظهر (١) ويعقصنها

(١) انظر شكل ١٦ .

ضفائر يختلف عددها من إحدى عشرة ضفيرة إلى خمس وثلاثين ، ويهتممن الاهتمام كله بأن يكون عدد هذه الضفائر فرديا ، ويدخلن فى تركيبها ثلاثة خيوط خفيفة من الحرير الأسود تختلف بها قطع صغيرة من الحلى أو المصوغات الذهبية وتنتهي كل ضفيرة بحلية ذهبية او بقطف من اللؤلؤ او بقطعة نقد مثقوبة من الحافة ومجموع هذه الضفائر منسقة على الوجه السالف يسمى بالصفا . ثم إن المصوغات واللآلىء أو الأحجار الكريمة من الماس وغيره تكثر فى زينة تلك النساء ، فيكون منها الأقراط فى الآذان والعقود العديدة والقلائد فى النحر والخواتم الساطعة الضياء فى الأصابع .

والسيدات المصريات بوجه عام لايلبسن الجوارب . ومع هذا فبشرة أقدامهن من النعومة بما لايختلف عن بشرة ايديهن لأنهن يغسلنها غالبا بالماء المعطر ويعتنين بتنظيفها ، ويقلمن أظافرهن بحيث يساير مكان التقليم اتجاه لحم الأصابع ويخضبنها بعدئذ بالحناء واللائى يبالغن منهن فى التأنق ويذهبن المذهب البعيد فى التبرج، يحلين أصابع أقدامهن بما يحلين به أصابع أيديهن من الخواتم المرصعة بالأحجار الكريمة ، ويلبسن فى أقدامهن حذاء يسمينه المزذ من الجلد الأصفر أو القطيفة المشغولة بالحرير أو القصب

لاحافة له من الخلف ، لذلك يرى الكعبان ظاهرين للعيان . ويقوم المزد فى أقدام النساء مقام الجوارب لأنهن يقينه بأقدامهن فى أثناء جلوسهن على الدواوين والسجاجيد ، أما إذا أردن السير فى مكان آخر فإنهن يلبسن من الأحذية نوعاً يقال له البابوج ، وهو حذاء من الجلد الأصفر طرفه دقيق ملتو إلى فوق ، وإذا أردن الخروج وضعن أرجلهن وسوقهن فى أحذية صغيرة من الجلد الأصفر صوناً للساق من وقوع النظر عليها .

وإن اللباس الذى وصفته الآن خاص بداخل الحرم ، وهو فى بعض أجزائه غاية في الحسن ، ولكن اللباس الذى تتغطي به النساء بين الجمهور يجعلهن شبيهات بالراهبات فى أوروبا ، أو بعبارة أخرى بمن يلبسن الثياب المعروفة بالدومينو فى مراقص فرنسا ، فإنهن إذا أردن الخروج أفرغن على أجسامهن قميصا من الحرير الحبر (التفتاه) ويسمينه الحبرة ، وهو يغطى الجسم كله . وهناك إزار آخر من حرير الموصلين يستر من وجه المرأة المصرية — إذا لبسته — كل شيء إلا العينين . وحبرة المتزوجات سوداء عادة بخلاف حبرة الفتيات اللائى لم يتزوجن فإنها بيضاء اللون ، ونساء الطبقة الدنيا اللائى لا يستطعن اقتناء الحبر

من الأقمشة الحريرية يتخذن هذا اللباس من قماش قطنى أرضيته زرقاء يسمي (الملاءة) .

التغييرات التى أدخلت على ثياب نساء الأغنياء سنة ١٨٤٠

إن الزىّ الحديث فى الثياب لم تصل عدواه إلى النساء المصريات ورجالهن ومع هذا فقد أخذ اللباس المصرى — منذ سنوات قليلة — يتغير شيئاً فشيئاً بتأثير التحسينات التى أدخلت عليه ، مثال ذلك لباس الرأس عند السيدات ، فقد أصبح غير مثقل بالعمائم الكبيرة المرصعة بالجواهر ، وهـذا فضلا عن أن الصفا نفسه كاد يزول استعماله على أثر اعتياد النساء ضفر شعورهن ورفعهن إياها فوق الرأس ، ولم تعد النساء يتركن القميص فوق الشنتيان كما كن يفعلن سابقا — كما ان «اليلك» لم يبق بطول «اليلك» الذى كان شائع الإستعمال من قبل ، إذ أصبح كماه منتهيين عند المعصمين ، ولم يعد مقورا على الصدر بل صار يزرر فوق هذا الجزء من الجسم ويلتقى طرفاه به .كما فى ثياب النساء الأوروبيات. أما الجبة فقد أغفلت بالمرة وأصبح استعمالها مقصوراً على الطاعنات فى السن ، وشاع استعمال الجوارب بين نساء الطبقة العليا ، وتركت الملابس المزركشة بالذهب

فى زوايا النسيان وحل محلها نسيج حرير الموصلين الساذج .

وبالجملة فقد تمت هذه الإصلاحات وأدخلت على اللباس المصري فجعلته مطابقا للذوق الأوربى بعيداً عن الإسراف فى النفقة والاسترسال في الزخرف الذى لا معنى له .

ويلبس نساء الطبقة الوسطى بدلا من قميص التيل قميصاً من الحرير وحذاء يسمى بالمركوب يمكن أن يقال إن أقدامهن لا تشعر فيه بضغط ما عليها .

أما لباس نساء العامة فاكثره من اللباس السابق سذاجة لأنه عبارة عن قميص واسع من القماش الأزرق عريض الكمين جدا يلبس فوقه قميص أبيض ولباس .



الأزياء الشعبية
فى أواخر القرن التاسع عشر

ولكى نتابع الأطوار التى مرت خلالها الأزياء الشعبية في مصر فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر ، نستعرض وصفا جاء فى مقال كتب فى مجلة شعبية صدرت فى ١٣ / ٩ / ١٨٩٢ يصف فيها كاتبها نوع الجهاز الذى يعده المتزوج من أهالى الريف فى ذلك الوقت ، ثم جهاز متوسط الحال ، وأخيرا الميسور ، ويعدد فى كل حالة أصناف ثياب الحريم والرجال التى يحتاج إليها الزوجان والأثاث المناسب لكل منهما حسب مقدوره ، فيقول فى هذا الشأن :

« حيث إن أثاث البيوت[١] يعتنى بها عند الزواج غالبا ، وما بعده يكون من باب المحسنات ، فلنذكر عاداتنا القديمة والحديثة ومنها يعرف الفرق بين اقتصاد الآباء وإسراف الأبناء الناس هنا ثلاثة أقسام أيضاً فقير ومتوسط وغنى .

فالفقير الريفي كان يقتصر فى تجهيز بنته على مقطعين من قماش تصنعهما ثلاثة أثواب ، ومقطع آخر تصنعه جلبابا يسمونه الآن

(١) جريدة الأستاذ (عبد الله النديم): الجزء الرابع من السنة الأولى ١٣/٩/١٨٩٢ مطبعة المحروسة .

خلقة أو ثوبا ، وعصبة تلبس على الرأس تصنع في المحلة الكبرى ، والمقاطع تصنع فى سرس وقليوب وبلبيس وغيرها ، وعلى حلق وأساور وحزام وطوق عند اهل الشرق كلها فضية ، وبرقع عند سكان الشرقية وبلاد البحر الشرقى ، وسكان برارى بلقاس والمعصرة والزاوية ، فإن نساء غير هذه الجهات فى البحيرة إلى أسوان يمشين مكشوفات الوجوه ، وبعضهن إذ رات رجلا ضمت طرفى ثوبها على وجهها وعضت عليهما بأسنانها ، وعلى صندوق يصنعه نجار بلدى ، وبعض طيب . أما الفرش فإن كان من سكان البرارى وبلاد الأرز اكتفي بقش الأرز والبردى يفرشه كل ليلة وتغيره المرأة في الصباح ، وإن كان من سكان غيرها اكتفى ببردة منسوجة من خيوط قطنية تغزلها النساء او الغلمان أو حصر من البردى . والغطاء إن كان فى الشتاء أوقد فرنه القائمة بالحطب فتحمى فلا يحتاج إلى غطاء .

ومتوسط أهل الريف يزيد فى الثياب غزلية يقال لها رومية تصنعها المرأة سراويل ، ولبة من ذهب ، وربما زاد ثوبا من الكريشة التى تصنع فى دمياط ، ومخدتين للرأس حشوها قش ، فإن كان شرقاويا زاد سركوجا (هى كلمة تركية أصلها سرقوج أى طير الرأس تشبيها له بطير واقف على الرأس)

وهو عبارة عن كيس من حرير أخضر وأحمر واسع الفم ضيق الأسفل ، تدخل فيه المرأة شعرها ثم تسحبه حتى يغطي رأسها ، والأغنياء يخيطون فيه بعض نقود من القرش والبشلك أو الخيريات (١) الصغيرة ، وبعضهم يزيد عيونا للبرقع ، وهى سلاسل خمس أو ست تعلق فى جانبي البرقع قد علق فى آخرها قطع مستديرة يسمونها البرق ، قد تكون من نحاس أصفر أو من فضة ، والأغنياء يصنعونها من ذهب ، ولكن الذهبي منها إنما حدث فى العهد الأخير . وغنى الريف يصنع الحلق واللبة والأساور والخزام والعيون والطوق من الذهب ، ويزيد عليها خلخالا من الفضة — ويجعل الثياب من الكريشة ويضم إليها شعرية وهى فوطة من منسوج حريرى لها أهداب مفتولة تضعها المرأة على رأسها ، وسواعد وهى قياطين من حرير فى أطرافها اصابع مجدولة تضرب على أرداف المراة هكذا ، وربما فضضوا تلك الأصابع ، وتجتهد المرأة فى رفع طرحتها عن الأصابع حتى تظهر للناظرين عجبا وخيلاء ، وملسا تتغطى به في الطريق والولائم ، وبعض سراويل من القطنى ، وهو نسيج مصرى من قطن ، وحرير تلبسه النساء سراويل والرجال قفاطين

(١) أنظر شكل ١٦

أو من الشاهى (نسبة إلي الشاه إما لـكونه كان يصنع للشاه ثم ابتذل أو لـكونه كان يصنع ويباع لحسابه) ، وهو نسيج مصرى أيضاً من قطن وحرير ، ولـكن حريره اقل من القطن ولذا يكون سعره نصف سعر القطنى غالبا . وقد انتقلت صنعته إلى الشام ثم اخـذته أوروبا ولسرعة العمل بالماكينات وغش القطن والحرير أنزلوا سعره إلي حد بارت به تجارة مصر والشام من هذين الصنفين . وبعضهم يعلق على البرقع بعضا من النقد الشهير بالبندقى (نسبة إلى بلاد البندقية . وهى نسبة الذهب الذى ضرب منه لانسبة الضرب) ، او المحبوب والمجر ، ويندر أن يكون لبنت الغني نعل تمشى فيه ، فإن اتفق فركوب يسمى الصرمة تلبسه المرأة عند خروجها من البيت لزيارة جارتها ، والمهور كانت من عشرة ريال (الريال بتسعين فضة) إلى مائة أي ان أقل مهر ٢٢ قرشا واكثره ٢٢٥ قرشا ، وهذا كان فى حكم النادر الوقوع ، وكانوا يدفعون الثلثين ويؤخرون الثلث ، وبعضهم يؤخر النصف ، وبعضهم يكسوا الزوجة ويأخذها .

اما فقير المدن فـكان يقتصر فى الـكسوة علي مقاطع قماش أيضاً وملاءة من القطن وسراويل من كبريت (نوع من البفتة

المتينة) وخاتمين من فضة ومكحلة ومرآة قدر الكف .
والمتوسط يستبدل الكبريت بالغزلي أو الألاجة او الشيت ، ويجعل الحلق واللبة من الذهب .
والغنى يستبدل الثياب الغزلية الكتانية بالثياب الحريرية من الأطلس والسلاوى والاسكندرانى والإصفهانى والقطيفة ، يقصبون مايريدون منها بالإبرة الشهيرة بشغل الطارة لكون الصانع يضع القطعة الحرير على الطارة ويشدها شدا محكما ثم يطرزها فهو من باب تسمية الشيء باسم آلته ويصنعون لذلك بعض الأصواف كالأنجورى والنبيت ، ويفصلون من ذلك «اليلك» وهو ثوب يخاط إلى ماتحت الثديين ثم يترك شقتين كل شقة تزيد عن طول المرأة ذراعين ، فإذا لبسته أخذت طرف الشقة ورشقته فى حزامها . والبلكة وهى عبارة عن ثلث ثوب له كمان يصلان إلى رسغ اليد تلبسها المرأة فوق الثياب تزينا ، وبعضهم يزركشها وبعضهم يطرزها بالقصب . والكركة وهي نوع من الملبوس قصير ينتهى إلى آخر الثديين ولا كم له تزرره المرأة تحت الثديين فيرفعهما ويبسهما ، فكانت بدل الآلة الافرنكية المسماة (يالبوسنى) المصنوعة من أسلاك مغطاة بالبفتة البيضاء محكمة الصنع لتضم صدر المرأة وثدييها ، والتنورة

وهى كالفستان لها باكية تدكك فيها وتلبس تحت الكركة ، أو السلطة او اليلك فتصير كالفستان . والشنتيان وهو سراويل واسع الرجلين تثنى المرأة طرفه وتربطه عند منتهي الساق ثم تلقيه مثنيا إلي ظهر الكتفين ، وغير ذلك من الملابس القديمة وبدل الملاءة يشترى سابلة وهى ثوب من حرير دقيق النسج تلبسه المرأة تحت الحبرة لتمشى فاتحة يديها بالحبرة فتكون الثياب مستورة بالسابلة ، وهذا سبب تسميتها سابلة أى مسبلة وإلا فإن اصلها سبنية نسبة إلي قرية من قرى بغداد تسمى سبنا ، وهي عبارة عن أزرسود كانت تلبسها النساء جلابيب فوق الثياب ، فلما لونت لبستها تحت الحبرة ، وهى نسيج من حرير أسود تتخذه النساء أزرا الآن .

وكنت ترى فى كل قرية الكثير من القزازين ينسجون القماش والزعابيط والدفيات والحرم والملاآت وغيرها ، والنساء والرجال والغلمان يغزلون القطن والكتان في وقت فراغهم من الأشغال ، وبهذا الاجتهاد توصلوا لعمل الملاآت من الحرير والقطن فى مصر واسكندرية ورشيد ودمياط .

ويخيطون من ضرورياتهم الزعبوط والدفية والقميص

والسراويل والجبة والبنش والفرجية والقفطان والصديرى والعنترى والقاوشمة والبلكة واليلك والكركة والفستان والتنورة والشنتيان والجلابية والملس والعرى والبداذى والبشت والعباية والبرنس والكاكولة والضلحة والشخشير والطوزلق والمريون » .

وجاء في أحد المراجع الشعبية التي كتبت سنة ١٨٩٤ موجز لبعض الثياب التى كانت شائعة فى ذلك الحين ، وربما نجد فيه جوانب لم يأت ذكرها فى الوصف السابق ، ولا سيا فى أسماء بعض الملابس الشعبية وكذلك بعض العادات التى ارتبطت بالأزياء ، فيقول المؤلف الشعبي :

« الرجال كانوا يلبسون الطربوش المغربى بثلاثة أركان ويتعممون عليه بشاش أبيض أو كشمير ومن تحت الطربوش الطاقية وربما تحت الطاقية ورق لأجل العرق ، والنظيف يغير فى الجمعة مرتين، والأغلب مرة فى الجمعة، والغنى جداً يكون عنده ستة قصان إما حرير أوضرابزون أو خرق ، والجبة والقفطان حسب اقتداره ، والمركوب أحمر وداخله المزد ويكعب المركوب حتى يمكث مدة طويلة وإذا تترب الطربوش يبخونه بالماء ويطبقونه

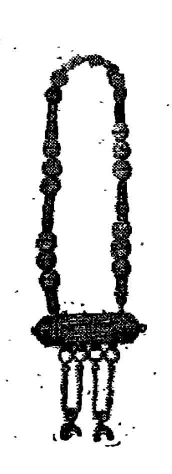
ويضعونه تحت المرتبة وزره ازرق [1] جرير خام وإذا كان نظيفاً ربما تمكث البدلة سنة أو أكثر ، وكانوا يفضلونه من دون جراب لأنه منذ ثمانين سنة لم يكن بمصر جرابات والحريم كانوا يلبسون على رؤوسهم طربوشا دندوشيا والقندورة فيهم تكبر زر الطربوش لغاية ستين درهما وتربط عليه منديلا كبيرا وتعمل له خوشيش من الجانبين مثل آذان الفيل ثم توضع فى جبينها مزاجي اسمه بطحنى ، ثم من فوق هذا كله إذا كانت غنية المصاغ الذي كل قطعة وزن رطل والماس فيه نادر وكله ذهب أو فضة ولؤلؤ والصفا [2] معلق بالطربوش يقال له برش وهو مدفور من حرير أسود وملضوم فيه برق ذهب الفين برقة أو أكثر ومعلق فى كل فرع حبرية بحيث لو يحمله حمار تعب ماعدا القرص الألماس ثم الحوائج أعنى اليلك كامه طوال لغاية الأرض يقال له الجلفنى والحزام كشمير وتتحزم فيه ثلاثة دلية وأغلب لبسهم شاهى مبطن وعليه قيطان قصب وقطن الوجه ، ومداس الأكابر عند خروجهم للزيارة يلفون جزءا من الحرق

---

(1) ر . ص : ـ قطائف اللطائف [مطبعة التأليف سنة ١٨٩٤]

(2) أنظر شكل ١٦ :

على أرجلهم ثم يلبسون الخف وهو من جلد أصفر ثم البابوج ،
والناس الوسط يلبسون مداسا يقال له قسومه من جلد أسود
ومكشوفة الوجه ، وأما الفلاحون فيلبسون مداسا أحمر
وهاته الملابس تمكث عندهم إلى أن يجهزوا جهاز بنتهم
وبنت بنتهم ..



تدخل الذوق الاوربى
فى الأزياء المصرية

إن مالم تذكره هذه الأبحاث هو تزايد النفوذ الأجنبي زيادة مطردة فى مصر ولا سيما بعد الاحتلال الإنجليزى سنة ١٨٨٢ ، الأمر الذى اثر بدوره على عادات الناس فى الملابس والأزياء بوجه عام ، وقد حدث حينذاك ما يشبه التسابق بين الميسورين من الناس لمحاكاة الذوق الأجنبي المتدفق لداخل البلاد ، وكما حدث حوالى سنة ١٨٢٣ ثورة على دخول الذوق الأوربى فى الثياب المصرية على أثر تغيير الزى الحربى وجعله يحاكى الطراز الأوربى — ولقد اشتد هذا التذمر مرة أخرى بعد سنة ١٨٨٢ لاحتلال البلاد أولا واغتصابها على يد المستعمر ولزيادة الأثر الأجنبي في عادات وتقاليد الناس ، وبالأحري ذوقهم فى اللباس ، الأمر الذى حمل بعض الكتاب الشعبيين علي نظم القصائد الزجلية فى أسلوب ساخر ، فهذه بعض أبيات من قصيدة نشرت فى جريدة الأستاذ سنة ١٨٩٢ يقول فيها الشاعر :

ياسي نديم شف احوالنا

إحنا بقينا اليوم نكته

نلبس محزق ومقمط
بالبنطلون والشكيته
وبنكره اللبس المصرى
نقول عليه سته فى سته
ونقول فلان لابس قفطان
أظن كان أصلو سافل

ونقول فلان لابس قفاطين
وعمته فعينها نقطه
وذوقه دا مجليط خالص
واللى يصاحبه فى حطه
والموضه ماشيه جدنايت
و بونوسوار أو بونوسيره
وماشيه جزما تزيق
والموضه فى الياقه كبيره
وزرار قيصنا من فضه
وفيه ذهب أشيا كتيره

ومن اليسير أن ندرك من هذه الأبيات مدى نفور الذوق الشعبي من الذوق الأجنبي الذى أخذ ينتشر بين الناس وحرف معايير الجمال .

ويشعرنا هذا النقد من جهة أخري بتهافت الناس على أنواع مبتذلة من التقاليد فى الملبس كثر رواجها على زعم أنهامستوردة من الخارج .

فلقد أثارت موجة التمثل بالذوق الأوربي فى الملابس فى مصر طوال القرن التاسع عشر مشاعر الناس وحملتهم على تلك الأزياء الدخيلة على بيئتهم وتراثهم القومى ، ومما كتب فى هـذا الشأن بحث نشره أحد الأطباء فى أواخر القرن الماضى يشرح فيه منافع الأزياء العربية واتفاقها من الناحية الصحية مع مناخ بلادنا وعدم مناسبة الأزياء الأوربية مع جونا الحار ، يقول فى هذا الشأن :

« إن الذى يوافق [1] الصحة فى الألبسة هو ما كان وسيعا لا يعيق فى الجسد ولا فى جزء منه ، ولهذا كان القدماء من كل الشعوب يلبسون ثيابا عريضة ، وهى قميص طويل وفوقه ثوب

(١) أبى شعر [داود] : « تحفة الإخوان فى حفظ صحة الابدان » سنة ١٨٨٣ م .

عريض كالعباءة التى يلبسها البعض للوقاية من البرد ، والبعض منهم كانوا يلبسون الزنار .

أما العرب القدماء فكان لباس الرجال منهم قميصاً ذا ذيل يجر وراءهم كما نرى الآن فى الأزياء الجديدة الإفرنجية وفوقه ثوب عريض لا يزيد طوله عن الركبة ، وهذا هو لبس العرب البدو لأيامنا هذه خلا الزنار الذى يلبسه رجالهم ونساؤهم جميعاً ، وقد اعتاضوا عن الطيلسان بالعباءة . أما لبس القنباز والسراويل تحته والجبة فوقه فزى ماخوذ عن كهنتهم وكهنة المصريين والهنود وقد شاع استعماله فى أكثر أنحاء آسيا وهو موافق جداً للصحة .

أما السراويل الجوخية (1) العريضة فزى موافق للصحة اصطلحنا عليه مع اليونانيين سكان تركية أوروبا ، وقد بطل من بينهم ، واخذ يبطل عندنا بالاعتياض عنه بالبنطلون المضر بالصحة ضرراً بليغاً كما سيأتى بيانه .

فاما غطاء الرأس ، وهو البرنيطة ، فيجعل الرأس سخنا لأنه يحصر الهواء فيسخن ويهيج آلاما كثيرة واوجاعا عصبية ودواراً وغيرها ، وقد استدركوا لدفع بعض هذا الضرر فجعلوا

(1) آنظر شكل ١٤

لها فتحات يخرج منها الهواء . واما الطربوش الذى عندنا فاحسن منها لخفته ، ولكنه لا يمنع الشمس عن الوجه مثلها ، ويضر بلونه الأحمر فيزيد حرارة الراس أيام الصيف ، ولذلك اصطلح البعض ان يلبسوا نسيجاً أبيض تحته يسمونه عراقية ، وقد أصابوا بذلك كثيراً . واما العمامة فوق الطربوش فهى أحسن غطاء للرأس إذ لم تكن كبيرة ثقيلة .

اما رباط الرقبة فلا يوافق الصحة لأنه بضغطه على الأوعية الدموية الكبيرة يجعل احتقانا فى الراس ويعيق الدورة الدموية عن سيرها الطبيعى فيضر كثيراً ، وهذا يقال ايضاً عن السترة والبنطلون ، ولاسيما الضيق منهما ، فإنهما يعيقان الدورة الدموية وحركات الجسد ، وربما يمنعان الجلد عن إتمام وظيفته ، فالأوفق اتخاذهما عريضين ولو كانا مغايرين للزي الجديد .

وهكذا يقال عن القفاز (أى الكفوف) التى تضر ايام الصيف ، لأنها تحصر الحرارة .وتجعل الأيدي طرية لا تقدر ان تاتى بوظيفة ما ، اما فى الشتاء فنافعة لأنها تدفىء الأيدى إذا كانت من الصوف » .

وفى القصيدة الزجلية الآتية التى تهدف إلى نقد الموضة ، والتى نشرت فى مجلة الأرغول بتاريخ ١٨٩٤/٩/١٥ ، نلمس

نقد البدع في الثياب التى أدخلت على الذوق المصرى، و نقداً لاذعا للمستعمر ، فحينما يهاجم الكاتب الموضة يتخذها كناية عن أعداء البلاد ومن يتعاونون معهم ، وهذا نص ما جاء بالمجلة المذكورة :

ياموضه ياجيل الوز ياحنيه من غير بز

دور

ياموضه جيلك معروض فات السنة والفروض
يبقى صغار له ومقروض ويروح قال يسكر ويمز

دور

اشرع لي ياسيدى القاضى فى عرضك تشرح أغراضى
راضى والقاتل موش راضى يقتلنى ويخلص وينفز

دور

والجامع فى يوم الجمعة فاضى والخمارة جامعه
والغيبة فى شهر وسمعه تديح فى الرقبة وتحز

دور

ياسيدى بدى أحكى حكاية القمر اتجوز حدايه

دور

أدب لي الموضه فى الجيل ده جيل خايب والله والجلده
لا والد يمشى ولا والده لا اتربى ولا شرب النز



(شكل ١)

جلباب شمي من غزة مطرز بخيوط حريرية ملونة



(شكل ٢)

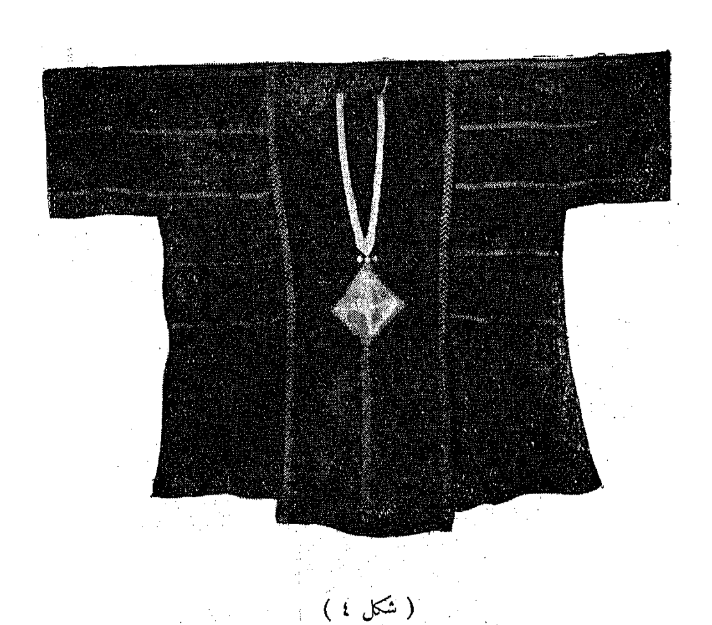
قميص وسروال من واحة سيوه

ويلاحظ أن حول فتحة العنق زخارف مطرزة تشبه القلادة



(شكل ٣)

جلباب شعبي من الواحات الخارجة



(شكل ٤)

ثوب حريمى من الحرير مشغول بالتلى
الدقيق صناعة أسيوط في القرن الثامن عشر



(شكل ٥)

جلباب من الأقصر من سنة ١٩١٥ ويلاحظ
ان حول العنق زخارف مطرزة بالتلى تشبه القلادة المعدنية



(شكل ٦)

ثوب قروية من الأقصر من سنة ١٩١٥

مشغول بالتلى وحول فتحة العنق حليات تشبه القلادة المعدنية



(شكل ٧)

جلباب حريمى صناعة أعرابيات الشرقية (الزقازيق)



(شكل ٨)

جلباب حريمى صناعة إعرابيات الشرقية (الزقازيق)
ويلاحظ في طريقة تفصيله أنه يشبه إلى حد بعيد بعض ثياب المماليك



(شكل ٩)

جلباب مطرز بالتلى يرجع تاريخه
إلى بداية القرن الحالى مصدره الأقصر



(شكل ١٠) سيدة من القرن الماضي مرتدية حبرة سوداء ومن تحتها ثوب يدعى سابلة الغرض منه إتاحة فرصة فتح الأيدي أثناء السير دون الكشف عن الثياب الداخلية . ويلاحظ أن البرقع يصل طوله إلى الأقدام .



(شكل ١١) منظر لقاضى القضاة بملابسه الرسمية كما كان فى منتصف القرن الماضى ويلاحظ أنهاتتكون منمعطف أو جبةمن الجوخ أوالحرير بحافتها فراءيغلب أن يكون من نوع السمور .
أما العمامة فتتبين من الرسم مدى ضخامتها واختلاف مظهرها عن الأنواع الأخرى المألوفه فى الوقت الحاضر .



(شكل ١٢)

جنديان من المماليك فى بداية القرن التاسع عشر
ويلاحظ أن أحدهما على رأسه قالوطة من الحديد

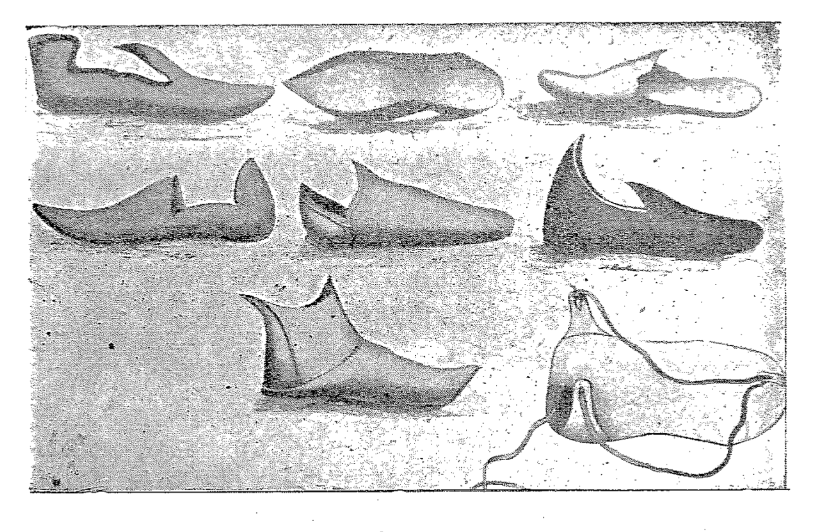


(شكل ١٣) منظر لراقصة مصرية فى منتصف
القرن الماضى ويلاحظ فى ثيابها اليلك المصنوع من قماش حريرى مقلم



(شـــكل ١٤)

جزء تفصيلى من علبة نحاسية للبارود عليها صورة لبعض المماليك في بدايه القرن التاسع عشر ويلاحظ فى ملابسهم السراويل والصدارية والعمائم الـكبيرة .



(شكل ١٥) بعض نماذج من الأخفاف والمراكيب وغيرها
من الأحذية التى كانت منتشرة فى مصر في منتصف القرن التاسع عشر



(شكل ١٦) منظر لسيدة مصرية فى منتصف القرن التاسع عشر ويلاحظ أنها مرسلة شعرها الى الخلف على شكل ضفائر يغلب أن تكون فردية العدد وتنتهى هذه الضفائر ببعض النقود الذهبية المسماة البرن أما الصفا فهى جدائل تضفر مع الشعر وبها قطع ذهبية متفاوتة الحجم .

دور

الموضه بطربوش وزكتـه والفلاح بالتوب البفتـه
قولوا السنـه في سنـه دى اللبده من عرقه تنز

دور

ياسيدى دلعنى وهشتك بالطربوس والجزمه لستك
واقعد بى فى السكه ومستك وقولولى العز العز

ولم يتوقف سيل الاعتراضات على الموضة الحديثة والذوق المستحدث فى الثياب ، إذ استمرت هذه الموجة من المعارضة ما يقرب من مائة عام بدأت بثورة التنظيمات التى نشبت بإدخال تعديلات فى الزى الحربى سنة ١٨٢٣ ، وانتهت بتعديل ملابس المدنيين على النحو الأوربى سنة ١٨٣٩ عند الميسورين من الناس والمثقفين ، وظل الاحتجاج والمعارضة مستمرين حتى الربع الأول من القرن العشرين حيث تحول الحال من نقد للموضة إلى مناقشة مشكلة السفور فى ملبس النساء وما يترتب عليه من مساس بتقاليدنا الشرقية القديمة ، ومن بين الكتاب فى هذا المجال قاسم أمين وطلعت حرب وغيرهم ممن كتبوا بإسهاب في علاج هذا الموضوع . ونعرض فى الجزء الآتى نبذة من مقال كتبه الكاتب الأول سنة ١٩١٢ تحت عنوان : «الملابس المصرية فى العهد الحالى » .

مشكلة السفور كما يعرضها قاسم أمين :

«أما لبس المصريات[1] فى العهد الحالى — أى فى سنة ١٩١٢ — فإنه يختلف كثيراً باختلاف نوع اللابسات ، فالفلاحات يلبسن ملابس بسيطة للغاية تشابه فى الغالب ملابس قدماء المصريات ، وليس لى كلام على هذا النوع من الملابس ، والحضريات — وهن سكان المدن — لهن ازياء متنوعة متشعبة جداً لا تعرف إن كانت أثراً لملابس قدماء المصريات أو نساء العرب قبل الجاهلية أو بعدها أو تقليداً لملابس الإفرنجيات أو التركيات أو خليطا من هذا وذاك ، لأنها بفضل الله عليهن أنواع كثيرة على حسب اختلاف ميولهن ومشاربهن . فبعضهن يرتدين جلبابا (جلابية) واسعا يغطي الرقبة والعنق ويتصل بالقدم وله أكمام طويلة إلى المعصم ، وإزارهن قطعة واحدة يلتففن بها فلا يظهر من هيئتهن شيء ، ويتقنعن بنقاب سميك يستر الوجه إلى قصبة الأنف ، ولا يري من وجوههن غير العينين ، وأغلب هذه الفئة من السيدات الكبيرات فى السن أو من ذوات الاحتشام والكمال ، وعددهن لسوء الحظ قليل .

(١) قاسم أمين (المرأة سنة ١٩١٢) .

أما السواد الأعظم من السيدات فإنهن يلبسن جلبابا (فسطان) ضيقا مخرقا ذا فتحة مستديرة لا يغطي من الصدر غير نصفه أو أكثر من النصف قليلا، وله أكمام قصيرة لا تستر من الذراعين غير نصفهما أى من الكتف إلى الكوع فقط تاركة ما بعد الكوع إلى المعصم عاريا فرجة للأنظار لطفا منهن وكرما .

أما إزارهن فإنه قطعتان : السفلي عبارة عن مرط (جيب) له من أعلاه حزام ضيق يحبك ويزرر على الخصر ويستمر فى ضيقة حتى أسفله عند القدم ، ومنهن من يقلدن بعض نساء الفرنجة ويضعن وسادة تحت أثوابهن (يقولون إنها ليست من مخترعات الزي فى أوروبا بل هى من أزياء نساء العرب فى سالف الدهر ، وتسمى عندهن بالعظامة والحشية والرفاعة) جاء فى تفسيرها قول ارباب اللغة إن العظامة ثوب كالوسادة تعظم به المرأة عجيزتها ، فهي إذا نفس ما نراه اليوم فى زى المرأة المتمدنة ، أما النصف العلوى فإنه قصير جدا يربط طرفه الأعلى فى شعر الرأس إلى الوراء حتى تظهر منه الآذان ونصف الراس او اكثره ويربط من اطرافه فى الخصر ، ولا أكمام له حتى يظهر منه ما اختفى وما استتر من الساعدين .

اما النقاب فإنه رقيق جدا يظهر منه كل شيء ، وهو يبت

القصيد فيظهرن بهذا الزى أقرب إلى العرى والسفور من التستر والحجاب ، لأنه يظهر من جسمهن الوجه بأكمله » .

كيف تطبعت الثياب المصرية بالطابع الأوربى :

تتبين من مقال المؤلف كلوت انه حدث بعد التنظيمات الخاصة بملابس الجيش ابتداء من سنة ١٨٢٣ والسنوات التالية لها أن تأثر الزى العام فى مصر تبعا لذلك ، فكان من نتائجه ان قل ارتداء الجبة والقفطان والعمامة ، واقتصر لبسهما على رجال الدين والتجار ، وكذلك بطل فى أزياء السيدات لبس الجبة أيضاً فلم يبق فى سنة ١٨٤٠ على ارتدائها سوى المسنات من سيدات المجتمع ، ثم تبع ذلك إبطال لبس المطرز والمزركش من ملابس السيدات ، وكذلك استغنى الزى الحربى عن العمائم المرصعة التى كانت تصور فى بعض الكتب التى نشرت فى أوائل القرن التاسع عشر ، ثم تبع هذا التطبع بالزى الأوربي من حيث قصر الملابس وتكسيمها على الجسم .

أما الملابس الشعبية فلا يكاد يطرأ عليها أى تعديل ، وما كتب فى جريدة الأستاذ عن الأزياء سنة ١٨٩٢ يكاد يكون تتمة لما ذكره كلوت بخصوص الأزياء الشعبية ،

بل يزيد المؤلف عبد الله نديم في إيضاح بعض التفاصيل كذكر الأكياس التى كانت تضع فيها النساء الشعبيات شعورهن ، وهو تقليد قديم[1] ، فقد وجد في آثار الفسطاط وبعض مدن الوجه القبلى مثل ملوى ثيابا مصنوعة من التريكو الصوف يرجع تاريخها للقرنين الخامس عشر والسابع عشر كانت تستخدم للأغراض نفسها .

ويذكر هذا المؤلف أيضاً الشعرية وهى فوط من الحرير لها أهداب تضعها المراة على رأسها ، وربما كانت لها صلة بالمنديل «ذى الأوية» الذى أصبح شائعاً منذ أول القرن الحالى عند كافة النساء الشعبيات ، وقد تكون الشعرية هذه تحولا من الكيس الذى كان منتشراً قبل ذلك بعدة قرون . أما السواعد التى يصفها هذا المؤلف الأخير على أنها قباطين من حرير فى أطرافها أصابع مجدولة قد تفضض أحيانا تضرب على أرداف المرأة ، فهذا نوع من أزياء النساء نكاد لا نجد له أى ذكر فى مؤلفات القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، على الرغم من أن له نظائر فى الآثار اليونانية الرومانية ، وكذلك يمكن أن نصادف له قرائن فى التمائم القديمة ، ومن الجائز أن تكون تلك السواعد

(۱) انظر الدبوقة ص ٦ من هذا الكتاب .

استمراراً لمثل هذه التقاليد التي هي فرعونية في منشئها ، وقد تذكرنا هذه السواعد من جهة اخرى بأيادى الخمسة والخميسة التي تستخدم حرزا ضد عين الحسود ، فعلى الرغم من أن السواعد اختفت منذ بداية القرن الحالي من الأزياء الشعبية فقد يكون اثرها باقيا في الخمسة والخميسة كما ذكرنا .

لقد أشار كلوت عندسرده التطورات التي ادخلت على الأزياء المصرية قبيل منتصف القرن الماضي وتاثرها تدريجياً بالزى الأوربي أن اليلك في ملابس السيدات اقتصد في طوله ، كما أصبحت أكمامه في مظهرها الجديد تنتهي عند المعصم ، ثم إن فتحته الأمامية زيد في طولها حتي أمكن ان ينطبق كل من طرفيه على الآخر وان يزرر بدلا من تركه مفتوحا وجعل الأزرار مجرد حليات للثوب . ويبدو ان هذا الثوب استمر بالرغم من التعديلات التي أدخلت عليه إلى اواخر القرن التاسع عشر حيث يرد ذكره مرة اخرى في وصف المؤلف عبد الله نديم في جريدة الأستاذ سنة ١٨٩٢ .

وبينما يقول عبد الله نديم إن التنورة كانت تلبس حينذاك تحت اليلك فتصير كالفستان ، يزيد المؤلف ر . ص في كتاب قطائف اللطائف سنة ١٨٩٤ فيقول في وصف اليلك إن أكمامه

طوال لغاية الأرض ويقال له الجلفى ، وهذا يتنافى مع الوصف الخاص بالثوب نفسه الذى ورد على لسان كلوت ، ومن المحتمل أن يكون اليلك بصورته التقليدية أخذ يختفى تدريجيا قبيل نهاية القرن الماضى ، ومن المحتمل أن يكون قد انتقل إلى الأزياء الشعبية تحت اسم جديد وهو الجلفى ، وعلى كل فهناك فى الأزياء الشعبية التى توجد حالياً بالشرقية انواع من الجلباب الحريمى وهى ذات أكمام تضيق عند الكتفين وتتسع تدريجيا حتى إذا ما وصلت إلى المعصم بلغت سعة الكم حدا يجعله يصل فى طوله إلى الأرض ، وهناك أمثلة قديمة من هذا النوع من الثياب وجدت بالفسطاط ، وهى إذ تشبه الأنواع التي تلبسها نساء الشرقية اليوم تختلف بعض الشيء عن طريقة تفصيل اليلك التى تشبه إلى حد ما القفطان الضيق الذى له أزرار من الأمام ، ولكنا مع هذا الاختلاف نراه يحاكى ثياب الفسطاط القديمة من حيث طريقة تفصيل الأكمام التي تتدلى هى الأخرى فى حالة اليلك فتصل إلى الأرض أو ما يعلوها بقليل . ويشبه هذا النوع من الثياب فى مجموعه سواء ـ أكان من الأنواع الشعبية المنتشرة فى الشرقية أو الأنواع التى وجدت بالفسطاط او اليلك ذاته — أنواعا من الثياب اليابانية كالنوع المسمي كيمونو ، او أنواعا من الثياب الصينية القديمة . وهناك راى قائل بأن الثياب المصرية تأثرت

منذ الحضارة الفرعونية بالأزياء الصينية . وقد تجدد هذا التأثر في الأزياء فى عصر المماليك حيث يرجع الكثير منها إلى أصل مغولى له صلة وثيقة بالصين . ومهما كان نصيب هذ الرأى من الصحة أو الخطأ فالتشابه ما زال ملموسا بين ثيابنا الشعبية وبعض ثياب الشرق الأقصى . ويبدو أن اليلك امتنع الناس عن لبسه عند بداية القرن الحالى فبطل فعلا ورود أى ذكر له بعد هذا التاريخ .

ومن أمثلة الأزياء التي قل انتشارها أو توقف أيضاً : البلكة ، والسلطة ، والتنورة التى تعد غريبة على أزياء بداية القرن الحالى ؛ ولا سيما عند المجتمع المتحضر .

ومن المشاهد أن بعض الأزياء التقليدية احتفظ بها الشعبيون فترة طويلة من الزمن ، ومن أمثلة هذا : الملس والشنتيان والبرقع والسروال وجميعها نراها باقية إلى اليوم فى الريف وعند كثير من الشعبيين ، ومن أمثلة الملابس التى تمسك بها الشعبيون أيضاً الكركة ، فهذا النوع من الثياب الداخلية للنساء بطل أن يسمى كركة وإنما ظلت طريقة تفصيله القديمة علي ما كانت عليه مع تعديل طفيف لا يكاد يذكر ، ولكن حتى هذه الأنواع بدأت هى الأخرى فى السنوات الأخيرة يقل استخدامها تدريجيا .

تحول الأزياء التاريخية إلى أزياء شعبية

أمكن تتبع بعض نماذج من الثياب النسوية القديمة فى بعض الأزياء الشعبية الحالية ، فلا نكاد نفحص أزياء الأعياد التى تلبسها القرويات حاليا وبعض أنواع الجلباب المصنوع من المخمل المخصص للخروج ، حتى نجد أنه يشابه الثياب التقليدية التى كانت منتشرة فى بداية القرن التاسع عشر عند المماليك ، فهذه الأنواع القديمة كانت تصنع من أقمشة ثمينة يدخل فى نسج بعضها خيوط ذهبية ، وكانت في عمومها تميل إلى الألوان الزاهية البراقة ، كما أن طريقة تفصيلها كانت تشبه إلى حد كبير أنواع الجلباب فتبلغ منتهي السعة عند القدمين ، والملاحظ أن حافتها الدنيا ترتفع من الأمام وتهبط من الخلف بنحو شبر .

أما فتحة العنق فستديرة وضيقة وبعضها يزرر من الأمام كالجلباب المعتاد ، وتأتى الأكمام بسعة مناسبة وتنتهى بعيدة عند المعصم أو منتصف الساعد ، وربما طرزت الأجزاء العليا من الثوب بالقصب أو غيره من النحو الذى تطرز به ثياب القرويات اليوم ، فتحلي بالأشرطة الملونة والأزرار الصدفية

أو المعدنية أو الخرز المذهب أو الترتر بحيث تشغل هذه الحليات الجزء العلوى من الصدر والكتفين ونهاية الكمين . ومن المحتمل أن يكون شغف القرويات بالألوان الزاهية فى ثياب الأعياد والخروج امتدادا لشغف نساء المماليك بالثياب البراقة ذات الألوان الزاهية ، ولكن هذا التقارب لا يعنى أن جميع أزياء المماليك انتقلت إلى الأزياء الشعبية ، فهناك جوانب كثيرة فقدت ولم يعد لها أى أثر سوى وصف موجز يرد على لسان بعض الرحالة فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، فهناك نماذج من المصاغ والحلى كالقرصة مثلا وهى كالطاقية ومصنوعة من الفضة أو الذهب المرصع بالأحجار الكريمة يصفها الكاتب الإنجليزى لين فى سنة ١٨٣٦[1] ، وكذلك الصفا والبرق والكور ، وكان من المتوقع أن تبقى لدى الأسرات الميسورة نماذج من الحلى القديم ، ولو ما يرجع تاريخه إلى بداية القرن التاسع عشر ، ولكن الغريب أننا لا نجد أى أثر لهذا النوع من المصاغ فى القرنين الماضيين ، وقد تكون بعض الأنواع الحديثة من المصاغ الشعبي مثل القلائد والأقراط مشابهة للأنواع

---

(١) Lane. E. W. An account on the manners and customs of the modern egyptians.

التى كانت تنتج فى العصر المملوكى ، ولـكن أصولها يكاد ينعدم اثرها باستثناء أمثلة ضئيلة جدا منهـا كالتى نراها معروضة فى متحف دار الآثار العربية الآن .

يقول المؤلف ر . ص : «إن الحريم تلبس طربوش دندوشى والغندورة تـكبر الزر لغاية ٦٠ درهم و تربط عليه منديل كبير وتعمل له خوشيسن مثل آذان الفيل وتصنع فى جبينها مزاجى اسمه بطحنى — وقد يكون هذا الاسم الأخير عبارة عن الـكور الذي كان منتشرا سنة ١٨٤٠ وتحول سنة ١٨٩٤ إلى ما يدعى بطحنى ومن المحتمل أن يكون تقليد لبس الطربوش الدندشى قد بطل أيضا فى بداية القرن الحالى ، وربما كان من آثاره التى استمرت حتى الربع الأول من القرن العشرين تقليد كان شائعا وقتذاك يقضى بأن تصور فتيات الأسرات الميسورة أنفسهن وهن مرتديات طربوش الرجال ، وقد يكون من آثار الغندورة التى يصفها المؤلف القديم تقليد الراقصات الشعبيات اللاتى يرقصن فى بعض رقصاتهن وهن مرتديات طربوش الرجال الأحمر » .

نبذة عن تطور لبس الحبرة :

ويمكن أن نتبين من الأطوار التي مرت خلالها الحبرة أو الأزرار كيف أن الذوق الشعبي كيفها تدريجيا حسب حاجياته وأبقى تقليد ارتدائها شائعا حتى اليوم رغم تخلي سيدات المجتمع المتحضر عنها بعد الربع الأول من القرن العشرين ، فيقول كلوت إن الحبرة سنة ١٨٤٠ قميص من الحرير يغطى الجسم كله ويكون ذا لون أسود للمتزوجات وأبيض للفتيات ، ولو أنه لا يذكر برقع ذلك الوقت ، فالرسوم القديمة فى عدد غير قليل من الكتب الأجنبية تصوره من قماش غليظ ذى لون أبيض او أسود ويكاد يصل فى طوله إلى القدمين[1] .

ويضيف عبد الله النديم سنة ١٨٩٢ أن الحبرة نسيج حرير أسود تتخذه المرأة إزارا ، وكان يصنع فى الأصل باليمن ، ولم يذكر المؤلف أى شىء عن أنواع الحبر الأبيض مما يجعلنا نظن أن هذا التقليد بطل عند أواخر القرن الماضى . ويقول قاسم أمين سنة ١٩١٢ عن الحبرة أو الإزار إنه قطعتان عليا وسفلى ، الأمر الذى يجعلنا نرجح إدخال تعديل فى طريقة

---

(١) انظر شكل ١٠

لبس الإزار أو الحبرة عند نساء المجتمع فى العشرين سنة الواقعة
بين التاريخين ، ثم يضيف قاسم امين فى وصفه للبرقع أو النقاب
أنه أصبح رقيقا جدا يظهر منه كل شىء بدرجة تجعله يحتج
على هذا السفور الذى لحق بزى المرأة وأخرجها عن وقارها
التقليدى . ولكن لم يمنع احتجاج هذا المؤلف انسياق نساء
المجتمع المصرى فى تيار السفور ، فبعد ان كانت المرأة المرتدية
الحبرة كتلة ضخمة لا كسم لها متسترة بداخل اثواب من القماش
الأسود ، اصبحت الحبرة رغم سعتها تزيد من تكسيم الجسم
بانقسامها إلى جزئين ، ومن جهة أخرى كان المشاهد فى الحبرة
القديمة أن النساء كن يضعن على رؤوسهن من داخل الجزء
العلوى للحبرة مايشبه العمامة الصغيرة أو حشوات تزيد من ضخامة
الرأس لا سيما بعد سترها برأس الحبرة ، ثم خفت بعد ذلك
الحبرة واستغنى عن حشوات رأسها ، كما تضاءل النصف العلوى
منها وقص فى طوله بعد سنة ١٩٢٥ ثم استعاضت المرأة
المتحضرة عن رأس الحبرة بطرحة شفافة من لون أسود او كحلي
دا كن تلف بها المرأة رأسها لفا محكما وتحصر بها حدود وجهها
ثم تخفى بها معظم العنق وتنزل بها إلي أسفل الصدر من الأمام .
ومنتصف الظهر من الخلف وتدلى على وجهها رقعة من القماش

نفسه الشبيه بالشاش فتحجبه نصف احتجاب ، وكان هذا النوع من النقاب يسمى بالبيشة .

وكانت تلبس تحتها قميصا أسود ذا أكمام محتشمة تصل لمقبض اليد ، وينزل القميص إلى الخصر حيث يحصر نهايته الجزء الأدنى من الحبرة السوداء التقليدية التى أخذت هى الأخرى تتناقض من حيث الطول ، وتقل من حيث الضخامة ، وقد انتهى هذا التقليد قبل نهاية الربع الأول من القرن الحالي ، فسواء كان مستمدا من الذوق الأوربى فى نهاية القرن الماضى أو كان امتدادا لتقليد عربى قديم ، فقد خصّ أزياء الميسورات من نساء المجتمع فحسب ، ويبدو أن النساء كن قبل هـذا يرتدين عند خروجهن ثيابا كثيرة الواحد فوق الآخر كالنوع الذى ورد ذكره عن عبدالله النديم سنة ١٨٩٢ ، وهو السابلة التى كانت تلبسها المرأة تحت الحبرة ، وكانت من أهم خصائص هذه الثياب الكثيرة زيادة ضخامة الجسم ، فجميع الرسوم التى صورت المرأة المصرية فى بداية القرن التاسع عشر وهى مرتدية الحبرة تصورها متناهية فى الضخامة حتى يكاد يظن ان نساء هـذا الوقت كن مفرطات في السمنة ، فى حين تبدو هذه الضخامة مفتعلة لغرض الاحتشام وقد يؤدى الملبس الشعبي في كثرة ثناياه وسعته المتناهية الغرض

نفسه الذى يهدف إلى مواراة تقاطيع الجسم ، وإذا كان لايوارى تقاطيع الرأس والعنق كالجزء العلوى من الحبرة تراه يموه في سعته وسعة أكامه على جميع أجزاء الجسم والأطراف حتى القـدم ، وكان المتبع فى لبس الملس منذ القرن التاسع عشر هو أن تلبس المراة الشعبية أو القروية السروال من تحته ، وكان هذا الأخير يزيد — لكثرة تناياه — من ضخامة الملس فلا يدع مجالا لإظهار خصر المراة مثلا ومفاتن جسمها ، وهذا ماتحولت إليه الملاءة الشعبية تدرجيا بعد النصف الأول من القرن الحالى ، فعلى الرغم من ستر الوجه بالنقاب المسمى البرقع استغنت المرأة الشعبية عن كثير من حشوات الملابس الداخلية وأصبحت تشد الإزار وتجمـعه فى يديها بحيث ينطبق على بعض أجزاء من جسمها . وقد مثل أحد المصريين سنة ١٩٣٧ ، وهو الأستاذ محمود سعيد فتيات حى بحرى بالاسكندرية وهن سائرات بدلال يتبخترن فى ملاءاتهن المشدودة على أجسامهن الناحلة ، غـير أن ما كان مثيرا للفنان لجدته فى سنة ١٩٣٧ أصبح شائعا فى الوقت الحاضر .

وإذ نشاهد المرأة الشعبية تحاول التحرر من قيود الملاءة القديمة فتكيفها حسب تقاليد اليوم ، نرى القرويات مازلن محتفظات بأسلوبهن التقليدى في لبس الملس . وفى الوجه القبلى

ما زالت القرويات يرتدين الملاءات الثقيلة ويزدن فى الاحتجاب على النحو الذى كان شائعاً فى القاهرة فى القرن التاسع عشر. أما الحبرة فبعد أن فقدت كذلك رأس الحبرة واستغنى بعد ذلك عن البيشة واكتفت السيدات عند خروجهن بأن تعصب الواحدة منهن رأسها بطرحة سوداء تخفى بها عنقها وأعلى صدرها ، مع ارتداء ثوب داكن اللون له كمان طويلان وينسدل إلى أعلى القدمين بقليل ، ثم استغنت السيدات بعد هذا عن الطرحة واكتفين بما يشبه العمامة الصغيرة التى ينسدل منها بعض أجزاء من الشعر مع الكشف عن العنق كلية . ثم استبعدت بعد ذلك العمامة وحل محلها مايشبه الطاقية أو القبعة الصغيرة ، ثم خرجت النساء بعد هذا سافرات الوجوه كاشفات عن شعورهن وهن مرتديات أثواباً ذات ألوان متباينة ، وحدث هذا عند بداية الحرب العالمية الثانية ، وكانت عادات السيدات عند التزاور حتى الربع الأول من القرن الحالى تقتضى أن تخلع السيدة حبرتها عند مسكن الأقارب أو الأصدقاء ، فكان الميسورون يكلفون بعض الخدم بكى براقع الزائرات التى كانت تصنع وقتذاك من الحرير الأبيض الشفاف ، فإذا ما انتهت الزيارة تجد الزائرة برقعها على أتم حال — وكان التقليد يقضى بأن تحتفظ السيدة

بحبرتها مع رفع النقاب إذا كانت تزور بعض من بينها و بينهم كلفة ــ أما فى الأعياد وفى المناسبات الهامة فكانت السيدات تستبدل مايسمى باليشمك بالبرقع ورأس الحبرة فترتدى السيدة ثوبا طويلا مذيلا قد يكون من الحرير أو المخمل المطرز (الصرما) ، وترتدي فوقه الطرحة البيضاء التى تشبه الشاش ، وتكون مقسمة إلى مجموعة شرائح جميعها منشا فتتلفح به وتخفي معالم الصدر والكتفين والعنق وكذلك الوجه أما الرأس فيضع عليها مايسمى بالعزازية وهى كالعمامة الخفيفة المبطنة بأسلاك دقيقة فتعظم بها السيدة رأسها وتحيطها بقية شرائح اليشمك فمتى وصلت إلى مكان الزيارة تخلع اليشمك وتبقى العزازية التي قد ترصعها بالحلى .

الزى المملوكى وأثره فى الثياب الشعبية اليوم :

وقد اتخذ من شكل بعض الثياب التي كانت منتشرة فى أواخر العصر المملوكى مثل السروال الرجالى الطويل والحزام الثقيل والصدار المزركش أو المطرز القصير الذى ليس له أزرار وأكمامه ضيقة ومزركشة هى الأخرى وكان يلبس من تحته قميص من لون موحد يزرر من الأمام بأزرار كثيرة كالصدار الشعبي

الحالى — اتخذ من هذا الزى شعاراً للخدمة فى بداية القرن الحالى ، ولا سيما فى الفنادق وبعض السفارات ، حيث يرتدى الخدم الذين يستقبلون الزوار هذا النوع من الثياب ، ثم جعل الصدار من لون السروال بدلا من جعله من لون زاه مميز كالأزرق أو الأحمر وأخيراً ابتدع للقميص الذى يلبس من تحت الصدار بدعة أوربية — هى أن تثبت عند فتحة عنقه ياقة منشاة .

كذلك انتقلت عادة تطريز الثياب المملوكية الرجالى وشغلها بالقصب إلي قفاطين الخدم حيث استبدلت الشرائط القطنية بالشرائط القصبية المذهبة وتحولت على الطريقة نفسها عادة لبس المركوب من المماليك إلي الخدم ولاسيما « السفرجية » ثم نرى هذا التقليد الأخير يتلاشى بدوره فيهجره الخدم ، وأصبح تندر رؤيته بعد النصف الثاني من القرن العشرين ، وكذلك أصبح من النادر رؤيته سعاة أو خدم يلبسون السروال والصدار حتى كادأن يصير اعجوبة لغرابته مثل الطربوش الذى بدأ السياح يشترونه كأنه شىء عجيب كمنتجات أسواق خان الخليلى .

ومن جهة أخرى قد تأثرت طريقة تفصيل الجلباب الشعبى ، ففى المدن اتخذ الجلباب منذ بداية القرن الحالى لباساً يلبسه الميسورون بداخل منازلهم ، ويكون عادة من لون أبيض ،

إلا أن طريقة تفصيله قاربت طريقة تفصيل قمصان النوم الرجالي فى أوروبا فى ذلك الوقت حيث ينتهى كم الجلبات (بأساور) مثل القميص الأفرنجي ، وتضاف إلى فتحة العنق ياقة مفتوحة تزرر من الأمام بأزرار تنزل إلى الصدر ، ويزيد طول هذا الجلباب عن طول قميص النوم الأوربى حيث إن حافته الدنيا تصل إلى القدمين فى حين نراها في النوع الأجنبي قصيرة تصل إلى الركبتين أو مايزيد عنهما بقليل .

والجلباب الشعبي فى صورته الأصلية ليست له ياقة ولا لأكمامه أساور كالأنواع الشائعة منه فى الريف حتى اليوم مثل الزعبوط.

ويمكن اعتبار الجلباب تطورا لأنواع القمص القديمة ذات الشكل المربع التى كانت لها فتحتان جانبيتان لخروج الذراعين كالنوع الذى كان منتشراً فى سيوه حتى سنة ١٩٣٦ .

وكان هذا النوع من القمصان فى القرون الماضية قصيراً يصل أحيانا إلى الركبتين ، وكانت بعض أنواع منه تصنع فى القرن الماضى من صوف غليظ ، ويلبسه أحيانا القرويون من أهالى الوجه القبلى ، ويشبه هذا النوع ما كان شائعاً فى العصر القبطي والرومانى فى مصر ، فكثير من القمص القبطية القديمة التى عثر عليها يتمثل فيها الشكل المربع أو المستطيل ، فهي واسعة

عند الأكتاف بدرجة زائدة فيصل عرض القميص أحيانا إلى ما يقرب من مترين ويظهر عند لبسه كأنه ثوب له ثنايا رأسية .

وكانت العادة المتبعة عند لبس هذه الأنواع المتناهية فى السعة أن تصر بحزام عند الخصر ، وكان لبعض الأنواع القبطية القديمة منها أكمام ضيقة مثبتة أطرافها بالفتحات الجانبية للقمص المربعة ذات الشكل التقليدى القديم . وقد وجدت بعض نماذج يرجع تاريخها إلي القرنين الخامس عشر أو السادس عشر مصنوعة من الكتان الطبيعى ، وهى ذات شكل مستطيل يقارب المربع ، وإنما بخصرها تكة مثبتة بداخل قماش القميص نفسه فتجمع سعة القميص عند الخصر ثم تتركه يتسع إلى مادون ذلك . أما الأكمام فتختلف عن الأنواع القبطية القديمة إذ بدت أقرب فى طريقة تفصيلها إلى أكمام القفطان من حيث ضيقها عند الكتفين وسعتها عند المعصم ، وتوجد بمنتصف كل من الكمين تكة تختصر الكم عند ارتفاع الزند تقريباً ، وهناك مجموعة رسوم لبعض أرباب الحرف والصناع فى القرن الماضى تبين الباعة مرتدين الجلباب الأزرق التقليدى إلا أنه يمتاز بالقصر والسعة مع توسط الأكمام فى الطول والسعة .

وتلف هذه القمص عند الخصر بحزام طويل بطريقة تجعل صدر الجلباب يبرز إلى الخارج فيمكن الصانع أو البائع أن يضع فى «عبه» بعض الحاجيات ، ومظهر الجلباب بهذا الشكل يشبه تماما القميص القديم المصنوع من الكتان الذى تقدم وصفه ، وكان يلبس تحت الجلباب الأزرق سروال من لون أبيض من النوع القصير الذى يصل إلى ماتحت الركبتين بقليل ، وهكذا يمكن أن نتكشف ارتباط هذه الأزياء الشعبية بأنواع قديمة كانت منتشرة بين أفراد المجتمع فى الأزمنة القديمة ، وهذا يؤكد لنا أن الأزياء الشعبية مهما بلغت من بساطة فى مظهرها وسذاجة فى طريقة تفصيلها فإنها تعتبر جزءا من تراثنا القومى ودعامة من دعائم تاريخنا ، ولذلك يحق لنا دراستها وتفهم أصولها قبل الإقدام على نقدها أو محاولة تطويرها، لاسيا أن الكثير منها يتلاشى تدريجيا وسوف يأتى الوقت الذى تصبح فيه البقية الباقية منها نادرة بدرجة تشعرنا بأنها غريبة عن موطنها وأنها من الأشياء النادرة .

الأزياء الشعبية فى أسيوط وسيوه :

ومن أمثلة الأزياء الشعبية التى صادفت رواجا كبيراً فيا مضى

وقد ذاعت فى هذه الفترة ثياب مماثلة لهذه القمصان وأوشكت أن تختفى حاليا صناعة التلّى بأسيوط ، وهى صناعة تعتمد على نوع من التطريز بخيوط معدنية تقوم به النساء وتصنع منها انواع من الثياب الشعبية والطرح ، ففي القرن الماضى كان التلى منتشراً بين جميع أهالى أسيوط حتى كان يندر أن لا ينتجه بيت من البيوت ، وفى القرن الثامن عشر[1] كان التلى يطرز على جلابيب حريرية وتزخرف منه أشكال وحليات متنوعة بخيوط معدنية دقيقة ، وكان إنتاج التلى يستخدم محلياً لتزيين ملابس القرويات على اختلاف أنواعها[2] ولا سيما انواع اللس والجلباب الضارب إلى السواد ، وكانت خيوط التلى حينذاك إما فضية أو ذهبية ، ثم شاعت بين منتصف القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين صناعة نوع جديد من التلي ذى خيوط معدنية عريضة على قماش خفيف يشبه الشباك الدقيقة كانت تصنع منه قمصان أو ثياب الزفاف التي ترتديها النساء من مختلف الأوساط وهن فى خلوة مع أزواجهن .

---

(١) أنظر شكل (٤)

(٢) أنظر شكل ٥ ، ٦ ، ٩

وقد ذاعت فى هــذه الفترة ثياب مماثلة لهذه القمصان او الأثواب بدأت تتخذها العوالم والغوازى ملابس للرقص .

وعلى الرغم من أن التلي فى هذه الفترة فقد جودته وحبكة خيوطه من الناحية الصناعية إلا أنه حافظ على رواجه بعض الشىء ، فكانت تورد ثياب الزفاف من أسيوط إلى القاهرة والاسكندرية وبقية مدن الوجه البحرى ، وبانتشار الذوق الأوربى في الأزياء قل الطلب على التلى حتى كاد أن يتحدد نطاق رواجه واقتصر لبسه على الراقصات ، وأخيرا بطل إنتاج القمصان والأثواب إلا حسب الطلب ، وأصبح إنتاج التلى فى معظمه يتركز فى عمل أنواع بسيطة من الطرح البيضاء أو السوداء على الشبك القطنى الدقيق .

وإذا ذهبنا اليوم إلى أسيوط قلما نعثر علي صانعات التلى فباستثناء نفر قليل جدا من نساء الأحياء الفقيرة يكاد ينعدم أثر هذه الحرفة حاليا لقلة الإقبال عليها .

ومن أمثلة الأزياء الشعبية التي كانت تتميز بها بعض المناطق على نسق ما كانت تنتجه أسيوط ما نراه حاليا علي نطاق ضيق فى أزياء البدويات ببعض جهات من الشرقية مثل الزقازيق(١)

(١) أنظر شكل ٧ ، ٨ .

وغيرها ، إذ اكتسب زيهن طابعا خاصا من حيث طريقة التفصيل ونوع التطريز الذى يزين الجلباب الأسود الذي يلبسونه .

ويبدو أن فنى التطريز والتفصيل اصبح لهما طراز قائم بذاته في هذه الجهة وذلك لرغبة قبائل البدو والقيمات فى تلك الجهات فى إيجاد شعار لهم فى الملبس ، فقامت علي أساس هذه الرغبة مجموعة من الحرف والصناعات المنزلية البسيطة توارثتها الأجيال وامكنها أن تحتفظ بجودتها وأسلوبها الذى يسد حاجة مجتمع ضيق له تقاليده وعاداته التى تغاير فى كثير من الأحيان عادات القرويين المقيمين فى الجهة نفسها ، ولو درسنا مثلا الأزياء عند أعرابيات شبه جزيرة سيناء أو غزة[1] وتطريزها ، وطرق تصفيفهن شعورهن ، وأنواع الحلى والمصاغ ذات الأشكال العجيبة التى يلبسنها لعلمنا طرازهن الخاص أو بالأحرى شعار قبائلهن ذات اللهجات المتعددة ، ويتسنى لنا بهذه الكيفية ايضا أن نقف علي الأسباب التي حملت السيويين على الانفراد بطابع

---

(١) أنظر شكل (١)

بخالف فنون وازياء وخرف الأعراب من سكان الصحراء الغربية (١)

---

(١) وقد كتب أحد المؤلفين فى سنة ١٩٣٦ بحثا عن أهالى سيوة قال فيه عن ملابسهم وأزيائهم :

يتميز السيويون بنظافة أبدانهم ، ومن أهم ملابس الرجال والصبية الجبة السيوية التى تختلف كلية في طريقة تفصيلها عن الجبة التى يلبسها الأعراب . وتتكون هذه الجبة من قطع مستطيلة في وسطها ثقب مستدير للرأس ، وتطوى قطعة القماش ثم تحاك من الجانبين ، وتترك ثغرتان لتنفذ منهما الذراعان وعند لبس الجبة السيوية تبدو كما لو كانت لها أكمام لاتساعها عند الكتفين . وتوضع أحيانا فى الفتحة الخاصة بالذراعية تكة صوفية يمكن أن تضيق فتقبض على الذراع ، ويمكن أن تشمر الأكمام عند الكتف . ويزين صدر الجبة عادة بزخارف على هيئة خطوط ذات ألوان متعددة كالبنى والأسود والأحمر والأخضر ، وتزين واجهة القميص أيضا بدلايات من الخيوط الملونة وتكاد تكون الجبة الثوب الوحيد الذى ينسج فى موطنه الأصلى .

ويلبس الرجال عادة تحت الجبة قميصا قطنيا فضفاضا ذا لون أبيض ، ويفضل الميسورون الاستغناء عن لبس الجبة ويستبدلون بها التلفح بثوب مقلم من الصوف أو الحرير طوله ١٤ قدما وعرضه ٥ أقدام ، يلتفون به على طريقة أعراب برقة ، وتسمى هذه اللفحة « جرب » وتستورد من طرابلس أو الاسكندرية .

ويلبس الرجال أيضا طواقى بيضاء قطنية تلف عليها العمائم وتلبس من فوقها طرابيش حمراء أو بيضاء ، ويتلفع المشايخ بمنديل أحمر يغطى =

كأهالى السلوم ومطروح (١) ، إذ تميز السيويون علي غيرهم لهجات وعادات وتقاليد اجتماعية تكسب فنونهم ذلك الطابع الذي يعتبر شعارا لهم ، فهم إذ ينتجون فى بيتهم السلال لحفظ التمر والحبوب ويفصلون ثيابهم (٢) ويطرزونها بكيفية لا نراها فى مكان آخر إنما يسيغون نمطا فنيا يرمز لجنسهم ولعصبيتهم ، إلا أنه يتناقص هو الآخر ، وربما تعذر الحصول عليه بعد سنين قلائل ، فما كان شائعا منذ عشرين سنة ووصفه الكتاب والدارسين علي أنه زى شعبي منتشر كل الانتشار ، أصبح اليوم فى ندرة الطربوش والقفطان .

= الرأس والكتفين ويربط تحت الذقن على شكل لثام .

ويرتدى الميسورون بلغا مصنوعة على طريقة أعراب طرابلس ، فليس للسيويين طابع خاص بهم فى الأحذية أو الأخفاف .

والزى الخاص بالأطفال الذين لم يتجاوزوا الخامسة من عمرهم جلباب يشبه الجلباب التونسى والمغربى الذى يسمى البرنس ، وهو ثوب ضيق ذو أكمام ضيقة وله طرطور ينتهى عادة بزر ملون ، وفيما عدا هذا الثوب يلبس الأطفال أحيانا جلبابا ذا أكمام فضفاضة ويضعون على رؤوسهم طواقى بيضاء .

Cline..W·, Note on the Peoble of siwah — Paris Geuthlmer 1936—

(١) أنظر شكل (٣)

(٢) أنظر شكل (٢) .

ترتبط العادات والتقاليد الشعبية فى كثير من الأحيان بأغراض سحرية أو علاجية لبعض الأمراض ، فلا تقف الثياب عند حد ستر الجسم والوقاية من البرد أو الحر ، فغسل الثياب او تفصيلها أو لونها المميز وزخارفها وتطريزها كل هذا له معان كثيرة عند الرجل الشعبي ، بل هو مجال يشبه فى غرابته الأساطير الخرافية المتناهية فى الغرابة ، ولكن يحسن أن لا ننبذ هذا اللون من التراث ونتجنب دراسته لأنه ضرب من الجهل أو الشعوذة ، بل تدعو الحاجة عند دراسة الأزياء وتاريخها ومذاهبها وتنوع أشكالها ومناسباتها إلى أن نقف أيضا على الجانب الآخر من هذه الدراسة ، وهو الجانب البعيد عن الواقع ، فنتكشف بعض المعانى الرمزية التى تحملها الثياب فى الفكر الشعبي .

ونعرض فى الجزء الآتى طائفة من بعض هذا العادات العجيبة ، ومنها أن حوالى سنة ١٩٠٠ كان من بعض العادات الشعبية تجنب غسل الملابس يوم الأربعاء من آخر الشهر[1] ،

(١) عمر محمد : حاضر المصريين ١٩٠٢ مطبعة المقتطف .

وينص تقليد آخر على تجنب تفصيل الثيـاب أيام الجمعة ، ومن العادات الشعبية التي كانت منتشرة سنة ١٨٩٤ تجنب تفصيل الثياب أيام الثلاثاء أو الأربعاء[١] ، وهذا لأن الثلاثاء للوارث والأربعاء فيه ساعة نحس . ويزعم بعض الشعبيين أن آخر اثنين في الشهر العربي يعتبر نحسا ، وأن أفضل أيام للتفصيل والغسيل هي الخميس . وفي رواية أخرى أن المرأة التي تغسل غسيلها أربعين أحدا متتالية تسعد سعادة لا يسعدها أحد . ومن أقوال النساء الشعبيات عند شعورهن بأن الغسيل كثير وأنها قد تعجز عن الفراغ منه قولها في أثناء غسيلها « يا قرد يا شيطان حطه على الحبال » فلا تلبث حتى تري الغسيل انتهي كله وعلق بالفعل علي حبائل النشر . ومما كان يقال أيضا في القرن الماضي عن الغسيل أنه إذا جاء المساء ولم ينزل أهل الدار غسيلهم من على حبال النشر تأتي أم المصاصة وتنفض عليه ريشها الذي يشبه الإبر فلا يكاد يلبسه أحد حتى تنفذ تلك الإبر إلى جسمه ، وراوي هذا التقليد يعزو الحكمة فيه إلى تحذير الناس حتى لا يتركوا الغسيل حتى يسقط عليه الندا .

أما بالنسبة إلى الألوان ومناسباتها فنجد فيها هي الأخرى

---

(١) ر . ص : قطائف اللطائف ١٨٩٤

تقاليد متناهية فى الغرابة ، فقد جاء فى أحد المراجع التي كتبت عن الطب الشعبي أن القرويات كن يعتقدن منذ ثلاثين عاما[1]، أو ما يزيد أنه إذا دخلت امرأة وهى مرتدية ثوبا مصبوغا بالنيلة على امرأة والدة ترضع طفلها فإنها تشهر هذه الأخيرة ، بمعنى أنها تصاب بالعقم بعد هذا ، ولكي تزيل هذه المشاهرة وآثار العقم وجب عليها أن تزور منيل أى مصبغة النيلة ، فمتى دخلتها تشفي مما أصابها .

وجاء فى كتاب كتب[2] سنة ١٨٩٤ أن الذى ينجب أولاداً لا تعيش يقولون لامرأته : « جرسى هذا الصغير (لآخر أطفالها) ، فيدهنوا وجه الولد سلاقون أحمر ويلبسوه طرطور ورق أخضر وأحمر وفيه من ريش الفراخ ويركبوه حماراً بالمقلوب ويدورون به البلد والصبيان خلفه تزعق يا أبو الريش انشا الله تعيش وربما كان ذلك فى الظهر الأحمر » ويقول المؤلف نفسه إن من العادات الشعبية ايضا أنه « إذا حصل طفح على الجلد إسمه شر يلبسون الإنسان بدلة حمرة فيروح الشر » .

(١) Walker. J., folk medicine in modern Egypt (1934)

(٢) ر ، ص : قطائف اللطائف ١٨٩٤

وجاء في مرجع باسم رسالة فى الطب النافع[1] كتبت سنة ١١٥٠هـ أن الذين يعتقدون فى أثر الكواكب على حياة الإنسان يبخرون لكل كوكب بخوره الخاص ويلبسون فى يومه المميز به من أيام الأسبوع ملابس تتفق مع لونه .

فيوم السبت يبخرون لزحل بالشعر والزفت والشحم الفاسد والعظام ويلبسون الثوب الأغبر والأسود .

ويوم الثلاثاء يبخرون للمريخ بالدم والكفور ويلبسون الأحمر والأصفر . ويبخرون يوم الجمعة للزهرة بالمسك والعنبر والأشياء الطيبة ويلبسون الثوب الأبيض والأخضر ولون الورد الممتزج .

وربما لمسنا بعض التقارب بين جعل الملبس والبخور يتفقان مع خواص الكوكب المراد التأثر بنفوذه ، وما كان يحدث فى بعض التقاليد القديمة الخاصة بالزار ، فبدلا من مناجاة الكوكب يصبح الأمر مناجاة أحد ملوك الجان ، وكل منهم يحتاج هو الآخر كالكواكب إلى نوع خاص من البخور والملبس ، فنهم من يحتاج إلى أن تكون المناجاة بعباءة حمراء

(١) ابن شاهين : رسالة في علم الطب النافع للأبدان الطبيعية الإنسانية سنة ١١٥٠ هـ

وطرطور أحمر بزر من القصب على أن تكون العباءة هى الأخرى مطرزة بالقصب ، ودقة الدفوف والطبول فيه تسمى السلطان ، أما دقة الدير فيلبس المناجي عباءة سوداء عليها صليب ويضع برنيطة علي رأسه ، وتحتاج الدقة العربى إلى أن يرتدى المناجى عقالا وكوفية وعباءة بيضاء من الحرير وفى قدميه بلغة ، وتستلزم الدقة السودانية لبس ملاءة حرير بها مربعات تسمى ريعة وكذلك جلود فرو توضع على الأرض .

ويجب أن لا نعجب من مثل هذه التقاليد التي تهدف إلى وسائل علاجية غريبة تقرب من الخرافة فنظن أن لا مثيل لها فى أي مجتمع متمدن ، ولكننا نبادر بعرض بعض السبل العلاجية التي كانت تتبع فى فرنسا للوقاية من مرض الطاعون فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وهى تشبه إلى حد بعيد ملابس الزار وأبو الريش وغيره ممن يناجون الكوكب أو الجان ، فكانت أزياء الأطباء فى أثناء تفشى الطاعون فى ميناء مرسيليا سنة ١٧٢٠ عبارة عن جبة حمراء وقبعة سوداء وحذاء أسود وطاقية بيضاء وقفاز أبيض ثم قناع أصفر علي شكل منقار طائر كأن الذى يجول بين المضايين نوع من أنواع الطيور ، وقد استمر التقليد نفسه حتى سنة ١٨١٧ ، فكان الجراحون

فى هذا الميناء يرتدون أثناء تفشى الطاعون وقتذاك من لون أخضر وطرطور من اللون نفسه.، ويشبه هذا التقليد تقليدا آخر يقوم على أساس افتراض قوة خارقة لبعض الثياب، فمتي لبسها المرء حصنته ضد الأمراض أو الأعداء.

ونجد أمثلة من هذا النوع يرد ذكرها فى كتب الطب القديمة والأساطير الشعبية، وكذلك كتب التصوف، واخيرا نراها فى بعض العادات الشعبية المتصلة بالسحر، فيقول عبد الملك[1] بن زهر في كتاب الخواص المجربة:

من لطخ بشحم الأسد جميع بدنه هربت منه السباع ولم يناله مكروه، وصوته يقتل التماسيح، وإذا وضعت قطعة من جلده فى صندوق مع الثياب لم يضبها السوس — وذنبه إذا استصحبه إنسان لا يؤثر فيه حيلة محتال.

وقال هرمس: الجلوس على جلد الأسد يذهب البواسير والنقرس.

وقال الطبرى: الاكتحال بمرارة الأسد يجلو البصر.

وبعض الكتب الخاصة بالسحر تنصح المرأة التى يبغضها زوجها أن تكتب حرزا على رق غزال وتحمله فى عضدها

(١) ابن زهر: الخواص المجرية.

او ساعدها ، ومن أنواع هذه الأحراز والطلاسم التى تنصح بها هذه الكتب ما يكتب على جلد ذئب أو خروف .

وجاء فى كتاب سيرة سيف بن ذى يزن : « بما أن له حكيمة صانعة له بدلة من جلد الغزال ما يسلك فيها مارد ولا شيطان ، وأى من تعرض له من الجان » . وورد فى موضع آخر من هذا الكتاب : « اعلم يا كهين الزمان أنى ما قدرت أتقرب إليه لأنه لابس رق من جلد غزال ومطلسم بأسماء عظام وإن أراد جن أن يدخل يكون طالب خيانته يحرق لوقته وساعته » .

فى كتاب سيرة الظاهر بيبرس مواقف متعددة يرد فيها ذكر ثياب لها قوة خارقة نذكر منها الوصف الآتى :

« قال شيحة : يا حليم يا ستار . وإذا بسيدى المغاورى أتي له وقال له لا تخف يا شيحة خذ هذا البشت البسه وطر فإن الله نعم النصير .. فطار إلى أعلى مكان .. »

ومن نوادر شيحه مع سيدى المغاورى من قصة بيبرس أيضا أنه قال له : « خذ هذا البابوج وحط رجليك فيه وسر فإن الأرض لاتغوص بك وأنت لابسه وخذ هذه الطاقية وضعها على رأسك فإنها تخفيك »

ودخل وهو لابس الطاقية فرأى الحكيم وهو جالس والكلبوش على رأسه نخطفه من على رأسه .

ثم تقدم إليه ورفع القلنسوة من على رأسه فبان له دوايب على أكتافه سود مثل سواد الليل وأطول من ذنب الخيل — ونظر إلى خده فرأى عليه شالا أخضر يدل على أنه شريف ، ثم وضع القلنسوه على رأسه ثانيا فوجد مربوطا علي ذراعه قصبة من الفضة ، وهذه البدلة كان قد أعطاها له سيدى عبد الله المغاورى ، وهى تبان وكبوط والتبان مخيط بالكبوط ، يلبسه من صدره وله ستة وثلاثون زرا نحاسيا إذا زرر واحدا يكون الخدام قد رفعوه قدر ذراع حتى يتم الزراير فيرتفع ستة وثلاثين ذراعا . وإذا أراد النزول فيفك التزرير ، وكلما فك زرارا ينزل ذراعا حتى يصل إلى محله ، وإذا أراد أن يمشى طائراً فيكون النصف مزرراً والنصف بلا تزرير ويلعب برجليه فيسير وهو متعلق كما يسير الطير » .

ومن عجائب الثياب التى ورد ذكرها في إحدى القصص الشعبية وهى قصة حمزة البهلوان الوصف الآتى : « ثم إن عمر لبس ثوبا من الجلد المصقول اللامع وعلق به كثيرا من الأجراس

الصغيرة ووضع فوق رأسه قبعة طويلة علق بها الأجراس وأخذ بيده دبوسا من الحديد » .

وتشبه ملابس سيدى المغاورى فى إكسابها الأفراد قوة خارقة ما ورد عن لسان ابن عبد اللطيف الشرجي [1] في كتاب الصلات والعوائد أنه كان عند النجاشى قلنسوة إذا مرض أحدهم ووضعت على رأسه برىء .

ويقول المؤلف إن معاوية حم بالشام تحت دير لراهب من النصاري فخرج إليه الراهب فقال : ما تشتكى ؟ قال : محموم، فأعطاه برنسا فلبسه فسرى عنه ما كان يحسه ، فخرقه فوجد فيه ورقا مكتوبا فيه بعض الأسماء، ويروي أن قيصر ملك الروم كتب إلى عمر بن الخطاب أن بي صداعا لايسكن ، فأنفذ إليه قلنسوة، فلما وضعها على رأسه سكن ما به ، فلما رفعها عاد إليه الوجع فتعجب من ذلك وفتشها فإذا بها بعض الأسماء .

ويصف المقرى فى كتابه « نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب » .

---

(١) الشرجى (ابن عبد اللطيف) : ـ كتاب الصلاة والعوائد سنة ١٢٨٣ هـ .

(٢) المقريزى : ـ نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب .

«لبس أحد الفقراء بالقاهرة فيقول :(رأيت بجامع الفسطاط في مصر فقيراً عليه قميص إلى جانبه دفاسة قائمة وبين يديه قلنسوة فذكر لي أنهما محشوتان بالبرادة وأن زنة الدفاسة أربعمائة رطل مصرية وزنة القلنسوة مائتا رطل، فعمدت إلى الدفاسة فأخذتها من طوقها أنا ورجل آخر فأملناها بالجهد ثم أقمناها ولم نصل بها إلى الأرض،وعدت إلى القلنسوة فأخذتها من أصبع كان في رأسها. فلم أطق حملها فتركتها . . وكان يوم جمعة — فلما قضيت الصلاة ذهبت في جملة من اصحابنا إلى الفقير فوجدناه لابسا تلك الدفاسة في عنقه واضعاً تلك القلنسوة على رأسه فقام إلينا وإلي غيرنا ومشى كما يمشي أحدنا بثيابه ، فجعلنا نتعجب ويشهد بعضنا بعضا على ما رأي من ذلك.

وجاء عن الدميري [1] في كتابه حياة الحيوان أن مسلمة بن عبد الملك لمـا حاصر عمورية حصل له صداع فلم يركب في الحرب ، فقال أهل عمورية للمسلمين : ما لأميركم لم يركب ؟ فقالوا : عرض له صداع ، فأخرجوا له برنسا وقالوا : ألبسوه له يزل عنه ما يجد ، فلبسه مسلمة فشفي ، ففتشوه فلم يجدوا فيه

(١) الدميري : ـ حياة الحيوان .

شيئاً ثم فلقوا إزاره فإذا فيه بطاقة مكتوب فيها هذه الآيات :
« بسم الله الرحمن الرحيم ، ذلك تخفيف من ربكم ورحمة .
بسم الله الرحمن الرحيم ، يريد الله أن يخفف عنكم ، وخلق
الإنسان ضعيفاً . بسم الله الرحمن الرحيم الآن خفف الله عنكم
وعلم أن فيكم ضعفا . بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق ،
بسم الله الرحمن الرحيم ، إذا سألك عبادي عنى فإنى قريب
أجيب دعوة الداعى إذا دعان . بسم الله الرحمن الرحيم ألم تر
إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا بسم الله الرحمن الرحيم
وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم » .

وفى كتاب أحمد جلال الدين الكتركى « نور الحدق
فى لبس الخرق » :

« إن بعض المشايخ أعطوا لجعفر الخالدى قلنسوة فيقول
جعلتها على رأسى ثم خرجت من البلد فجزت على أجمة فخرج
إلى السباع فكانوا يتقربون منى يتذللون فتحيرت ورجعت
إلى أمري فإذا هم يفعلون ذلك بقلنسوة الشيخ . وقال بعض
المشايخ خرقة الشيخ للفقير وقار ووقاية ، وفى هـذا تحريض
علي خدمة الصالحين ، نفعنا الله بهم اجمعين » .

ومن العقائد الشعبية التى كانت شائعة منذ القدم أنه من كتب سورة « البلد » على ثوب أثار فى النفوس الهيبة والاحترام ، ولو دخل وهو لا بسه علي سلطان قربه إليه وقضى حوائجه .

وكما تشيع فى المعتقدات الشعبية القديمة أن هناك قوى خيرة تتقمص فى ثنايا الثياب فتكسب من يرتديها نفوذاً وسيطرة خارقة كذلك تزعم العقائد الشعبية أن هناك قوى ضارة كأثر الثوب الملون بالنيلة علي المرأة الوالدة ، وهذه القوى الضارة قد ترتدى الثياب أو تتخللها وتنفذ إليها الأمر الذى يضطر الشعبيين إلى الاستعانة بالأحجبة والأحراز وبعض أنواع الحلي والتمائم التى قد تتخذ مظهر الحسد أي العين أو المشاهرة أو العكوس والانتكاس وما شاكل هذا من تغييرات شعبية تعبر فى مجموعها عن الأثر الضار لتلك القوى ، فمن المعتقدات العربية القديمة أن طى الثياب يرجع إليها أرواحها ، وإن الشيطان إذا وجد ثوبا مطويا لم يلبسه وإذا وجده منشورا لبسه [1] .

وكان التقليد يقضى بأن يسخر فى هذه المناسبة بعض الملابس

---

(١) الشواهد والأعلام في سنن خير الأنام .

من الطاقية أو الطربوش أو المنديل ، وكانت فيما مضى تخاط أحجبة فى أرجل سراويل الرجال لمنع العين ، وكان كثيرون من الأجانب المستوطنين فى مصر يضعون أعينا زجاجية فى جيوب ملابسهم لمنع العين أيضاً .

ولو رجعنا إلى كثير من الزخارف التي تطرز على الملابس الشعبية لرأيناها تتخذ صفة الحجاب سواء فى أشكالها الهندسية أوفى الحليات التى تضاف إليها كالأزرار الصدفية أو المعدنية التي ليست بذات غرض فى بعض الثياب سوى الزينة .

ويتضح لنا أيضا أن كثيرا من المصاغ الشعبي يتخذ هو الآخر صفة الحجاب والحلى فى الوقت نفسه ، فالصفا والبرق الذى كان يعلق فيما مضى فى الشعر والضفائر يعتبر بمثابة حجاب أو حرز لمنع العين كخصلات الشعر المصنوعة من خصل صوف أحمر ، فالغرض منها جلب العين وشغلها عن حسد جمال الشعر ووفرته .

* * *

تبين مما تقدم أن الثياب الشعبية تتخذ مكانها فى الأساطير والخرافات والأوهام وما قد يثيرنا من عقائد بعيدة عن المنطق والواقع فتبدوا كما لو كانت صادرة من عالم آخر . ومهما شعرنا

بالنفور من مثل هذه العقائد ، ومهما سخرنا من مظهرها الساذج، فإنها تعطينا صورة واضحة عن بعض التقاليد التى تحيط بأزيائنا الشعبية فى الأزمنة الماضية .

فالأزياء كما سبق أن أوضحنا ليس الغرض منها كساء الأبدان ، فحسب ولكن لها جانبا آخر يرتبط بالخيال الشعبي ، وهو جانب روحانى يتصل بالإحساسات الخفية فتاريخ الشعب وأمانيه المستقبلة كانت تسجل فيما مضى فى الحضارات القديمة على ثياب . هذا بالنسبة إلى الأمانى العظيمة والمستويات الروحانية الرفيعة ، أما الرجل الشعبي فهو يتلفح بخرافاته وأوهامه التى تكشف أحيانا عن قيم نادرة تخدعنا مظاهرها المنفرة فننبذها على الرغم من أصالتها وسعة معانيها .

وربما تسنى لنا فى ختام هذا البحث إدراك بعض ما تخفيه الأزياء الشعبية من معانى تظهر صلة بعض الثياب الشعبية القائمة فى الوقت الحاضر بالأساطير القديمة فكأنها سجل تاريخي يربط بين الماضى والحاضر . ونختار لهذا تحليل مصادر الثوب الشعبي الذى نوهنا عنه فى صفحة ٥٩ من هذا الكتاب فهذا الثوب الذى ترتديه أعرابيات كفر صقر بالشرقية يشبه الجلباب الأسود الذى يشيع لبسه في مختلف أنحاء الريف المصري ولكنه يختلف عنه

فى طريقة تفصيله وفى دقة تطريزه فالأكمام في هذا النوع من الثياب متناهية فى الطول ، تبدأ ضيقة عند الكتف ثم تتسع تدريجيا حتى إذا مدت الذراع فى محاذات الكتف فإن طرف الكم المتدلى يكاد يصل إلي الأرض . . وهكذا تبلغ فتحة الكم درجة متناهية فى السعة والطول .

ويخيل للناظرين أن الأعرابيات فى ثيابهن هذه ذوات أجنحة طويلة يرفرفن بها في أثناء سيرهن حين يحركن أذرعهن . . .

ومما يزيد الاهتمام بطريقة تفصيل هذا الثوب أن له نظائر فى جهات عربية أخرى ، ويرجع تاريخه فى مصر إلى القرنين السابع عشر والثامن عشر . غير أنه أبيض لا أسود ، وأنه من الكتان الطبيعى لا من القطن ، وأن تطريزه أرق وأحكم من النموذج الحديث ، أما الأكمام فمفصلة بالكيفية نفسها أو بما يقرب منها ، ومن اليسير إدراك الصلة الوثيقة بين الثوبين . ويتضح عند فحص الشكل العام لهذا الثوب الكتاني القديم أنه يناظر أيضاً ثوبا ترتديه راقصة رسمت على شقفة خزف يرجع تاريخها إلى العصر الفاطمي . ونلاحظ في هذا الرسم أن الجلباب أصبح قميصا قصيرا مشقوقا من الأمام ، يشبه القفطان وأن الكمين يطبقان فيه على الذراعين من الكتف حتى المعصم ثم يتدليان من المعصم حتى يكادا يصلان

إلى الأرض . ويبدوا أن الثوب الممثل علي الشقف الفاطمى ظل يستخدم زيا للراقصات حتى القرن التاسع عشر ، ففي عدد كبير من الرسوم التى تمثل مظاهر الحياة المصرية خلال القرون : السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر نلاحظ أن منها ما يمثل الراقصات فى ثياب تشبه النموذج الفاطمى ، ولو أردنا مواصلة بحثنا والرجوع إلى مصادر أقدم من هذا المثال الأخير ، لا نجد أمامنا سوى رسوم قبطية نسجت على أقمشة صوفية يرجع تاريخها إلى القرن السادس أو القرن الثامن الميلادى — فهناك رسوم كثيرة علي هذه الأقمشة القديمة تمثل الراقصات وعليهن ما يشبه الشال أو الطرحة تكسو به الراقصة كتفيها ، ثم تلفه على ذراعيها عند العضد .

ويتدلى طرفا الشال من كل ذراع حتى يصلا إلي الأرض تقريبا . وبفحص عدد كبير من أشكال الراقصات الممثلات بهذه الكيفية يتضح لنا أنه من الجائز أن ترمز (دلايات) شيلان الراقصات إلى أجنحة ، فكأن الراقصات يرفرفن بأجنحتهن .

إننا نري فى أحد التوابيت الفرعونية بالمتحف المصرى لوحة تمثل إيزيس مرتدية ثوبا من الريش وهى باسطة ذراعيها فكأنهما جناحان من الريش يتدلى كل منها حتى يكاد يصل إلى الأرض .

ويشبه الطرف المدبب لكل جناح الطرف المدبب لكم الثوب الشعبي فى الشرقية [1] ، كما أن هناك صلة وثيقة بين الثوب الريشى الممثل فى هذا الرسم الفرعونى وبقايا ثياب يرجع تاريخها إلى العهد الإسلامي فى مصر عليها نقشة الريش نفسها .

والزخارف التى نراها شائعة فى غالبية شيلان القرويات فى الريف المصرى وتمتاز بألوانها الزاهية البراقة تتخذ فيها الزخارف شكل الريش فى تموجه ، وتظهر أوجه التقارب جلية واضحة بين النماذج الفرعونية والإسلامية والشعبية إلى حد لا نستبعد معه استمرار التقاليد القديمة حتى يومنا هذا . ولعل فكرة الثياب الريشية أو المجنحة مرتبطة بأسطورة إيزيس التى تتخذ شكل طائر وتجول باحثة عن أشلاء اوزيريس فى مختلف أرجاء البلاد ، فهى تطير بين المشرق والمغرب لتجمع أعضاء هذا الجسد وتبعث فيها الحياة من جديد . . فإذا مثلت إيزيس المجنحة في تابوت الميت فإنما مثلت لتدل على احتضانها جثمانه وبعث الحياة فيه من جديد .

وترمز إيزيس المجنحة وتحليقها وهى فى هيئة طائر على وادى

---

(١) أنظر شكل (٧)

النيل إلى اتحاد البلاد وجمع شملها — واتخذت أسطورة إيزيس مظهراً جديداً على ممر العصور حتى تسربت إلى القصص الشعبي ، ولا سيما فى قصه سيف بن ذي يزن ، إذ نرى البطل يحاول جمع شمل بلاد عديدة وتوحيد كلمتها ، فمع أن منشأه اليمن فهو يعيش فى مصر ، واسم إحدى زوجاته جيزة ثم يتزوج من الكمرون فينضم تحت لوائه أقطابها ، ويتزوج فتاة موطنها قرب جبال القمر عند منابع النيل فينجب منها طفلا يسميه مصر ، ولكن لا تلبث هذه الزوجة الأخيرة أن تهرب إلي موطنها الأصلى مصطحبة معها طفلها مصر .

ويقوم البطل بعدئذ بمغامرات طويلة ونضال مرير لاسترداد زوجته وابنه وإخضاع بلادها وقومها . . . ثم لا يكاد البطل يصل إلى بلاده حتى يستعين به ملك الفرس فيخوض غمار حروب دامية يعاونه فيها ابنه نصر .

ويمكن ان نستخلص من هذه الأمثلة فى القصص الشعبي ، ومن الشيلان الشعبية المحلاة بزخارف على هيئة ريش ، أن الثوب الشعبي ذا الأكمام التى تشبه أجنحة الطائر يرمز إلي أسطورة المرأة التى تتخذ مظهر الطائر لتبعث الحياة وتضمد

الجروح وتجمع شمل البلاد . إنما هى شعار القومية التى تملا قلوب الناس وتشد عزائمهم .

فالقروية بلبسها ما يحاكى الريش أو الأجنحة إنما تدل على أنها ستطير هى الأخرى إلى منابع نيلها وتحمى ارضها وتطير إلى المشرق والمغرب لتجمع الكلمة وتوحد الصف وتبشر الحياة .



مراجع الكتاب

١ — ابن زهير : الخواص المجربة .
٢ — ابن سيرين : منتخب الكلام فى تفسير الأحلام .
٣ — ابن شاهين : رسالة فى علم الطب النافع للأبدان الطبيعية الإنسانية سنة ١١٥٠ هـ .
٤ — أبى شعر (دواد) : تحفة الإخوان فى حفظ صحة الأبدان سنة ١٨٨٣ .
٥ — الدميرى (كمال الدين) : حياة الحيوان .
٦ — الشرجى (ابن عبد اللطيف) : الصلات والعوائد سنة ١٢٨٣ هـ .
٧ — الكترى . نور الحدق فى لبس الخرق .
٨ — القوصى (أحمد محمد) : جريدة الأستاذ سنة ١٨٩٢ .
٩ — المقرى : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب .
١٠ — النابلسى (عبد الغنى) : تعطير الأنام فى تعبير المنام .
١١ — أمين (قاسم) : المرأة سنة ١٩١٢ .

١٢ — حسن (على إبراهيم) : تاريخ المماليك البحرية سنة ١٩٤٨ .
١٣ — ر . ص : قطائف اللطائف ـ مطبعة التأليف سنة ١٨٩٤ .
١٤ — زكى (عبد الرحمن) : التاريخ الحربى لعصر محمد على سنة ١٩٥٠ .
١٥ — عمر (محمد) : حاضر المصريين سنة ١٩٠٢ مطبعة المقتطف .
١٦ — كلوت (أ . ب) : لمحة عامة إلى مصر سنة ١٨٤٠ .
١٧ — مبارك (علي) : الخطط التوفيقة .
١٨ — نديم (عبد الله) : جريدة الأستاذ سنة ١٨٩٢ (الجزء الرابع) .
١٩ — : الشواهد والأعلام فى سنن خير الأنام .
٢٠ — : ألف ليلة وليلة .
٢١ — : سيرة الظاهر بيبرس .
٢٢ — : سيرة سيف بن ذى يزن .
٢٣ — : قصة حمزة البهلوان .
٢٤ — : مجلة الأرغول سبتمبر سنة ١٨٩٤ .

٢٥ — Cline. W., Note on the people of siwah — Paris Geuthner 1956.

٢٦ — Moeurs usagcs et costumes de tous les pays peuples du monde — Paris — Pesron 1848

٢٧ — Wolker. J., Folk medicine in modern Egypt — 1934

٢٨ — Lane. E.W., The modern Egyptians - 1836



المكتبة الثقافية

تحقق اشتراكية الثقافة

صدر منها الآن

١ — الثقافة العربيــة أسبق من ثقافة اليونان والعبريين	{	للأستاذ عباس محمود العقاد
٢ — الإشــتراكية والشيوعــة		للأستاذ على أدهم
٣ — الظاهر بيبرس فى القصص الشعبي		للدكتور عبد الحميد يونس
٤ — قصة التطور		للدكتور أنور عبد العليم
٥ — طب وسحر		للدكتور پول غليونجى
٦ — فجر القصة		للأستاذ يحيى حقى
٧ — الشرق الفنان		للدكتور زكى نجيب محمود
٨ — رمضان		للأستاذ حسن عبد الوهاب
٩ — أعلام الصحابة		للأستاذ محمد خالد
١٠ — الشرق والإسلام		للأستاذ عبد الرحمن صدقى
١١ — المريخ	{	للدكتور جمال الدين والدكتور محمود خيرى
١٢ — فن الشعر		للدكتور محمد مندور
١٣ — الاقتصاد السياسى		للأستاذ أحمد محمد عبد الخالق
١٤ — الصحافة المصرية		للدكتور عبد اللطيف حمزه

١٥ — التخطيط القومى ... ... للدكتور إبراهيم حلمى عبد الرحمن
١٦ — اتحادنا فلسفة خلقية ... للدكتور ثروت عكاشة
١٧ — اشتراكية بلدنا ... ... للأستاذ عبد المنعم الصاوى
١٨ — طريق الغد ... ... للأستاذ حسن عباس زكى
١٩ — التشريع الإسلامى وأثره في الفقه الغربى } للدكتور محمد يوسف موسى
٢٠ — العبقرية فى الفن ... ... للدكتور مصطفى سويف
٢١ — قصة الأرض في إقليم مصر للأستاذ محمد صبيح
٢٢ — قصة الذرة ... ... للدكتور إسماعيل بسيونى هزاع
٢٣ — صلاح الدين الأيوبى بين شعراء عصره وكتابه } للدكتور أحمد احمد بدوى
٢٤ — الحب الإلهى فى التصوف الإسلامى للدكتور محمد مصطفى حلمى
٢٥ — تاريخ الفلك عند العرب... للدكتور إمام إبراهيم أحمد
٢٦ — صراع البترول فى العالم العربى للدكتور أحمد سويلم العمرى
٢٧ — القومية العربية ... ... للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى
٢٨ — القانون والحياة ... ... للدكتور عبد الفتاح عبد الباقى
٢٩ — قضية كينيا ... ... للدكتور عبد العزيز كامل
٣٠ — الثورة العرابية ... ... للدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى
٣١ — فنون التصوير المعاصرة للأستاذ محمد صدقى الجباخنجى
٣٢ — الرسول فى بيته ... ... للأستاذ عبد الوهاب حمودة
٣٣ — أعلام الصحابة (المجاهدون) للأستاذ محمد خالد
٣٤ — الفنون الشعبية ... ... للأستاذ رشدى صالح
٣٥ — إخناتون ... ... للدكتور عبد المنعم أبو بكر
٣٦ — الذرة فى خدمة الزراعة ... للدكتور محمود يوسف الشواربى

٣٧ — الفضاء الكونى ... ... للدكتور محمد جمال الدين الفندى
٣٨ — طاغور شاعر الحب والسلام للدكتور شكرى محمد عياد
٣٩ — قضية الجلاء عن مصر ... للدكتور عبد العزيز رفاعى
٤٠ — الخضراوات وقيمتها الغذائية والطبية للدكتور عز الدين فراج
٤١ — العدالة الاجتماعية ... ... للأستاذ المستشار عبد الرحمن نصير
٤٢ — السينما والمجتمع ... ... للأستاذ محمد حلمى سليمان
٤٣ — العرب والحضارة الأوربية ... للأستاذ محمد مفيد الشوباشى
٤٤ — الأسرة فى المجتمع المصرى القديم للدكتور عبد العزيز صالح
٤٥ — صراع على أرض الميعاد ... للأستاذ محمد عطا
٤٦ — روّاد الوعى الإنسانى... ... للدكتور عثمان أمين
٤٧ — من الذرة إلى الطاقة ... ... للدكتور جمال الدين نوح
٤٨ — اضواء على قاع البحر ... ... للدكتور أنور عبد العليم
٤٩ — الأزياء الشعبية ... ... للأستاذ سعد الخادم

الثمن قرشان فقط

المكتبة الثقافية

- أول مجموعة من نوعها تحقق اشتراكية الثقافة .
- تيسر لكل قارىء ان يقيم فى بيته مكتبة جامعة تحوى جميع ألوان المعرفة باقلام أساتذة متخصصين وبقرشين لكل كتاب .
- تصدر مرتين كل شهر . فى أوله وفى منتصفه

الكتاب القادم

حركات التسلل

ضد القومية العربية

الدكتور ابراهيم أحمد العدوى

أول ديسمبر ١٩٦١

دار القلم بالقاهرة

الثمن ٢ ص